﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ﴾
التوبة (٤٠)



محمد رسول الله ﷺ

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾
(الأنبياء ١٠٧)



كتبه
مصطفى العدوي

مكتبة مكة

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﷺ

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

كتبه

مصطفى العدوي

مكتبة مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد للَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا.

وأشهد أن محمدًا عبدُ اللَّه ورسوله، أرسله اللَّه بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، صلوات اللَّه وسلامه على هذا النبي الكريم المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

☐ فقد خلق اللَّه عباده حنفاء، وفطرهم على الإسلام والتوحيد، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أَحَلَّه اللَّه لهم، وأحلَّت لهم ما حرَّمه اللَّه عليهم، وصرفتهم عن عبادة ربهم، ولبَّست عليهم أمورهم، فحملتهم على أن يشركوا باللَّه ما لم ينزل به

سلطانًا، وزينت لهم الباطل، فأرسل اللَّه- رحمةً منه بعباده- رسلًا مبشرين ومنذرين يُذكِّرون الناس بوحدانية اللَّه ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، ويبينون لهم حدود اللَّه ومحارمه، وما يُرضيه وما يُسخطه، وما أعده من النعيم المقيم للمهتدين الطائعين، وما أعده كذلك من العذاب العظيم للعصاة المعتدين، والمشركين المفترين.

□ فكان الخَطْبُ كلما اشتد، وكلما انتشر الشرك وتفشى، وازداد الظلم، واستطار، أرسل اللَّه رسولًا يُذكر الناس ويأمرهم وينهاهم، ويحذرهم من اتباع الشياطين ومسالكهم وخطواتهم، رسولًا يتلوه رسولٌ يتلوه رسولٌ.

□ وأنزل على المرسلين كتبًا قيمةً كريمةً مجيدةً عزيزةً عظيمةً مباركةً فيها أمرُ اللَّه وهداه ونهيه وتحذيره، وما أخبر به من أخبار، وما قصَّ من القصص إلى غير ذلك مما تضمنته الكتب المباركة الميمونة.

□ فمن الناس من قَبِل هدى اللَّه وصدَّق المرسلين

وآمن بما أنزله اللَّه وسمع وأطاع، فأفلح بذلك ونجا.

□ ومن الناس من لم يقبل هدى اللَّه وكذَّب المرسلين وتَمَرَّد وعصى، فخاب بذلك وخسر.

□ ولم يقف أمرُه على ذلك، بل سبَّ المرسلين ووصفهم بشرِّ الأوصاف، وطعن فيهم بكل أنواع الطعون: شاعر، مفتر، ساحر، كاهن، كذاب، مجنون... بل ومنهم من قتل الأنبياء والمرسلين، وافترى عليهم وكذب، واتبع هواه وما تُمليه عليه شهواته وشياطينه، وآثر حظ النفس وشهوتها على حق اللَّه عز وجل.

□ وهؤلاء الحائدون عن طريق الحق والصواب تمادى بهم الأمر إلى أن تكلموا كذبًا وزورًا في حق اللَّه عز وجل، ونسبوا إليه الصاحبة والولد.

وكما ورد في الحديث: «**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ**

الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»[١].

الحاصل من الأمر: أن أهل الباطل، وتماديًا منهم في الغي، أشركوا بالله وكذبوا المرسلين، وطعنوا في الكتب المنزلة من عند رب العالمين، ولكن، ودومًا فللَّه جنودٌ يجندهم لنصرة دينه والذب عن أنبيائه ورسله وشرعه، واللَّه قادر على الانتصار، ولكن يبلو قومًا بآخرين، فكان للمرسلين أتباعٌ وصحبٌ وأنصارٌ يَذُبُّون عنهم وعن سُنَنِهم وهديهم، ويمتثلون أمرهم، ويوَقِّرونهم حق التوقير، هكذا في كل زمان.

□ ثم إن الرسل عليهم صلوات اللَّه وسلامه توالوا وأرسلهم اللَّه تَتْرًا إلى أن جاء نبيُّ اللَّه عيسى عليه السلام ثم انقطعت الرسالات والنبوات بعد نبي اللَّه عيسى عليه السلام إلى أن مَنَّ اللَّه علينا بنبينا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ

(١) البخاري (٤٩٧٤).

عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: الآية ١٩].

أي: بعد زمنٍ انقطعت فيه الرسل.

□ وهذا الزمن الذي انقطعت فيه الرسل كثر فيه الظلم، وعمَّ فيه الشرك، وعُبد فيه الوثن، واتخذ فيه الصنم، ووصل الناس فيه إلى حال مُزْرِية مُخزية من الجهل الفاضح، فحرموا ما أحل اللَّه، وأحلوا ما حرم اللَّه، وارتكبوا الكبائر والموبقات.

□ ولقد اتضحت معالم هذه الفترة من حديث قدسي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» الحديث[٢].

□ واتضحت أيضًا معالمها مما ذكره جعفر رضي الله عنه للنجاشي، فلقد أوجز جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأبلغ في بيانه للنجاشي حين هاجر إليه، وأرسل المشركون في طلبه واستدعاه النجاشي، فتكلم جعفر رضي الله عنه، وبَيَّنَ ما جاء به النبي ﷺ خيرَ بيانٍ[٣] فقال: «أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ: نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ،

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) أحمد (بسند حسن) (١/ ٢٠٢).

وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيم، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَام، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَام، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا، وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا مَا

تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ...» الحديث.

□ فهذه هي الحال الذي بُعث فيها النبي ﷺ كما وَصَفَها جعفر رضي الله عنه.

□ فَمَنَّ اللَّه علينا وعلى الناس ببعثة هذا النبي الكريم.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

[آل عمران: الآية ١٦٤].

□ لقد أرسله اللَّه لتزكيتنا وتطهيرنا!

□ لقد أرسله اللَّه لتعليمنا الكتاب والحكمة، وإنقاذنا من الجهالات والضلالات.

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم

مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٥١].

□ ثم إن هذا الرسول الكريم جاء مُصَدِّقًا لإخوانه من المرسلين مثنيًا عليهم آمرًا بالاقتداء بهم، داعيًا إلى سبيلهم، مقتديًا بهداهم، فبهذا أُمِرَ، وأَمِر أتباعه كذلك.

لقد أُمر أتباعه بتصديق المرسلين جميعًا.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧].

وقال عز وجل: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٣٦].

□ وفي حديث النبي ﷺ عن الإيمان وتعريفه به قال:

«الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٤).

□ وأخبر صلوات اللَّه وسلامه عليه فيما أنزل عليه أن من كذَّب رسولًا فقد كذَّب المرسلين جميعًا، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٢٣] وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٦٠].

□ مع أنَّ قوم نوح لم يُرسَلْ إليهم إلا نوح عليه السلام ولكن لكون دعوة المرسلين واحدة، فكان من كذَّب واحدًا فقد كذب الجميع، ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٢].

---

(٤) مسلم حديث (٨).

فهكذا أمرنا بالإيمان بالأنبياء جميعًا .

وكذلك أمرنا بالإيمان بالكتب كلها .

وبعد هذا :

□ أقول وباللَّه التوفيق ، وأمام هذه الموجة العاتية من الإجرام والاعتداء والبغي والتطاول على الرسل والرسالات ، وعلى خاتم النبيين محمد ﷺ : أردت في هذه الورقات أن أذكِّر بشيء من حق هذا النبي الكريم محمد صلواتُ اللَّه وسلامه عليه ، وأقول مستعينًا باللَّه :

□ إننا مهما كتبنا من كتب ، ومهما سطرنا من سطور ، ومهما تكلمنا من كلمات ، فلن نَفِي بحق هذا الرسول ﷺ علينا .

□ إن المِدادَ لينفد ، وإن الأوراق لتنتهي وما أتينا على جزء من مائة جزء من فضائل هذا النبي الكريم ، وجميل خصاله ، وكريم فعاله ، وحُسْنِ سَجَاياه!!!

□ إن العقل ليعجز عن وصف هذا النبي الكريم ،

ووصف بعض محاسنه فضلًا عن جُلِّها، فضلًا عن كُلِّها!!

□ إن اللسان ليَكلُّ، وإن العمر لينقضي، وما وَفَّيْنَا رسولنا الكريم جزءًا من حقه علينا.

□ فالعفو ربنا والمعذرة إلٰهنا، فقد خلقتنا ضعفاء لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا قوة لنا إلا بك، ولا حول لنا إلا بك، فنسألك اللَّهم أن تغفر لنا تقصيرنا في امتثال أمرك بتوقير هذا النبي وتعزيره، وتسبيحك بكرةً وأصيلًا.

□ نسألك ربنا يا من مَنَنْتَ علينا ببعثة هذا النبي الكريم فينا وإلينا أن تجازي نبينا محمدًا ﷺ عنا خير الجزاء، وأن تؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن تبعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

□ ونسألك يا ربنا فضلًا منك ونعمةً ورحمةً منك بنا أن تحشرنا مع نبينا محمد ﷺ، وأن تسقينا من حوضه شربةً هنيئةً مريئةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

□ كما نسألك اللَّهم أن تُشَفِّعَه فينا.

□ ونسألك اللَّهم ربنا أن تُثَبِّتَنا على سنته، وأن تُلْزِمنا هَدْيَه وطريقته، وترزقنا من سمته الحسن سمتًا حسنًا، ومن هَدْيِه القاصد هديًا قاصدًا، ومن خُلُقه العظيم خُلُقًا عظيمًا، وأن ترزقنا الإخلاص في القول والعمل وسلامة المعتقد.

□ ونسألك اللَّهم ربنا أن تحشرنا مع نبينا الكريم في أعلى جنة الخلد التي أُعِدَّت للمتقين.

وإلى موضوع بحثنا، وباللَّه التوفيق، وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد للَّه رب العالمين.

كتبه

أبو عبد اللَّه

مصطفى بن العدوي

أما عن نبينا محمد ﷺ ذلكم النبي الكريم فهو

محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إنه الرسول المصطفى والنبيُّ المجتبى!!!

لقد قال صلوات ربي وسلامه عليه: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[١].

ولقد قال عبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ

(١) مسلم (٢٢٧٦).

بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِه، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِندَ اللَّهِ سَيِّئٌ(٢).

به خُتِمَ النبيون:

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

أرسله الله رحمةً للعالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٩) بسند حسن.

وقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

□ ثم إنه ﷺ سببٌ في رحمة البشرية، ونجاة لمن أطاعه؛ من عذاب اللَّه ﷻ ومن النار.

□ لقد جاء بنصرة المظلوم، وصِلَةِ الرَّحِم، وَقِرَى الضيف، والإعانة على نوائب الحق.

□ لقد شملت رحمته حتى البهائم، فلقد قال: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٣).

□ ولقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(٤).

□ وأخبر النبي ﷺ بمغفرة اللَّه ﷻ لرجل سقى كلبًا رآه يلهث من العطش، فَعَنْ أبي هُريرةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ

(٣) البخاري (٦٠١٣) ومسلم (٢٢٤٤).
(٤) مسلم (حديث ١٩٥٥).

رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ؛ فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(٥).

□ ولقد قال ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحم لَا يُرْحَم»(٦).

□ وأخبر أن امرأة دخلت النار في هرةٍ حَبَسَتْها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاشِ الأرض حتى ماتت(٧).

□ ولقد عاتب الرجلَ الذي جوَّع جمله بعد أن رأى الدمع ينذرف من عين الجمل!! فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ.

قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ،

---

(٥) البخاري (٦٠٠٩) ومسلم (٢٢٤٤).

(٦) البخاري (٦٠١٣) ومسلم (٢٣١٩).

(٧) البخاري (٣٤٨٢) ومسلم (٢٢٤٢).

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ.

فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»(٨).

□ ولقد نهى أن تُصبر البهائم (أي: تُتَّخَذَ غَرَضًا) فَعَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَنَس عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ، فَرَأَى غِلمَانًا- أَوْ فِتْيَانًا- نَصَبُوا دَجَاجةً يَرْمُونَهَا، فَقَالَ أَنَسٌ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ البَهَائِمُ»(٩).

□ وانظر إلى رحمته ﷺ إذ قَالَ: «**إِنِّي لأَدْخُلُ في الصلاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ**

(٨) صحيح، أخرجه أبو داود (حديث ٢٥٤٩).
(٩) أي: أنهم يتسابقون أيهم يُصيبها في رميته، وتُصْبَر أي: تُقَيَّد وتُوقَف، والحديث أخرجه البخاري (٥٥١٣) ومسلم (١٥٦٩).

فَأَتَجوزُ[١٠] في صَلَاتِي؛ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ[١١] أُمِّهِ مِنْ بُكائِهِ»[١٢].

أرسله الله شاهدًا ومُبشرًا ونذيرًا:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وأخرج البخاريُّ[١٣] من طريق عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ- رَحِمَه اللَّه تعالى- قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ

(١٠) أتجوز: أي: أخفف.

(١١) وجد: حزن وقلق.

(١٢) الحديث أخرجه البخاري (٧١٠) ومسلم (٣٤٣).

(١٣) البخاري (٤٨٣٨).

المتوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا».

لقد شرح اللّه صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذِكْرَه:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

ولقد شرح اللّه صدره مرتين:

الأولى منهما: وهو صغير يلعب مع الغلمان، كما في «صحيح مسلم»[١٤] من حديث أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ[١٥]، وَأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ

(١٤) أخرجه مسلم (ص١٤٧).

(١٥) لَأمَهُ: ضمه وجمع بعضه إلى بعض.

الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ (يَعْنِي : ظِئْرَهُ)(١٦) فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ(١٧).

قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ.

والثانية: ليلة المعراج كما في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ**. . . » الحديث(١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الفتح: ٢] كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الشرح: ٢].

---

(١٦) ظئره: أي: مرضعته.

(١٧) منتقع اللون: أي متغير اللون.

(١٨) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

أما عن رفع ذكر هذا النبي الكريم صلوات اللّه وسلامه عليه فمن وجوه:

منها ما يلي:

□ إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس، فقد قال تعالى عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]أي: شَرَفٌ لك ولقومك.

□ ولا ينعقد لأحدٍ إسلامٌ إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه، فكان ذكر النبي ﷺوالشهادة برسالته من أركان الإسلام.

□ ويُدَوِّي هذا الاسم الكريم اسم محمد ﷺخمس مرات في اليومِ والليلة في الأذان، وكذلك عند إقامة الصلاة.

□ ورب العزة -سبحانه- وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ

يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

□ وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه عليه الصلاة والسلام، وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

□ وبَشَّرت به الكتبُ المنزلةُ على الأنبياءِ صلوات اللَّه وسلامه عليهم.

□ واسمه يُذكر في كل خطبة وفي خطبة النكاح والتشهد في الصلاة كذلك.

وفي الجملة: فقد ملأ ذكره الجميل السمواتِ والأرضين، وجعل اللَّه له لسانَ صِدْقٍ في الأولين والآخرين، وجُعلت أمته- كما أسلفنا- خيرَ الأمم وأكثرَ أهلِ الجنة؛ فصلوات ربي وسلامه عليه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ في الدنيا، وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه، وما أجملَ وأحسنَ هذه الأبيات

المنسوبة إلى حسان رضي الله عنه ، حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه :

أَغَـرُّ عَـلَـيـه لـلـنـبـوة خَـاتَـمُ
مِـنَ الـلَّـه مـن نُـورٍ يَـلـوحُ وَيـشْـهَـدُ
وَضـمَّ الإِلَـهُ اسْـمَ الـنَّبِـيِّ إلى اسْمِـهِ
إذا قَـالَ في الـخَمْـسِ الـمؤذنُ: أشـهـدُ
وَشَـقَّ لَـهُ مِـنَ اسْـمِـهِ لـيُـجِـلَّـهُ
فـذُو الـعَـرْشِ مَـحْـمُـودٌ وهَـذَا مُـحـمَّـدُ

□ وما أروعَ هذه الأبيات التي قالها عبدُ اللَّه بنُ رواحة رضي الله عنه حِين قال :

وَفـيـنَـا رَسُـولُ الـلَّـه يَـتْـلُـو كِـتَـابَـه
إذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
أرَانَـا الـهُـدى بَـعْـدَ الـعَـمَـى فَـقُـلُـوبُـنا
بِـه مُـوقِـنَـاتٌ أنَّ مَـا قَـالَ وَاقِـعُ
يَـبـيـتُ يُـجَـافِـي جَـنْـبَـهُ عَـنْ فِـراشِـه
إذَا اسْتثقَلتْ بالْمُشْركِين المَضَاجِعُ

□ وكذا أبيات حسان رضي الله عنه التي يقول فيها:

هَجَوْتَ مُحمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ
وَعِنْدَ اللَّهِ في ذاكَ الجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا
رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ
فإنَّ أبي وَوَالدَهُ وَعِرْضِي
لِعِرْضِ مُحمّدٍ مِنْكُمْ وقاءُ
أتَشْتُمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بكُفءٍ
فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ
لساني صَارمٌ لا عَيْبَ فِيه
وبَحْري لا تُكَدّرهُ الدِّلاءُ

دعوة إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام

«ورَأَتْ أُمه نُورًا خَرَجَ منْها أَضاءَتْ لهُ قُصُورُ الشَّام»[١٩].

(١٩) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٢٦٢) بإسناد حسن لشواهده.

□ دعوة إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

□ وبشارة عيسى عليه السلام، إذ قال: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦].

أمته خير الأمم وأصحابه خير الأصحاب

قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير الآية: «خَيْرَ النَّاسِ للنَّاسِ تَأْتُونَ بهِمْ في السَّلاسِلِ في أعْنَاقهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا في الْإِسْلَامِ»(٢٠).

---

(٢٠) البخاري (٤٥٥٧)، وتفسير أبي هريرة يعني: أنهم أنفعهم للناس لأنهم سبب دخولهم في الإسلام.

وقال عليه الصلاة السلام: «إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ»[٢١].

وقال ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢٢].

وفي رواية: «نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»[٢٣].

لقد زكَّى اللَّه لهذا النبي الكريم فؤاده: فقال سبحانه:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١].

وعقْلَه: فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢٩].

ولسانَه: فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

(٢١) صحيح، أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» حديث (٤٠٩)، وأحمد (٥/ ٣، ٥).

(٢٢) البخاري حديث (٣٤٨٦)، ومسلم حديث (٨٥٥).

(٢٣) مسلم حديث (٨٥٦).

وسَمْعَه: إذ قال سبحانه: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١].

وزكَّى اللَّهُ له بَصَرَه: فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧].

وكذلك زكَّى اللَّه له خُلُقه: فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

لقد أنزل اللَّه عليه خير كتاب:

كتابًا مهيمنًا على سائر الكتب من قبله:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

كتابًا يهدي للتي هي أقوم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

[الإسراء: ٩]

بخير لغة، ألا وهي لغة العرب:

قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣].

وبعثه في خير قرن

قال رسول اللَّه ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. . . »[٢٤].

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. . . »[٢٥].

وفي رواية عند مسلم[٢٦]: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي

(٢٤) البخاري حديث (٣٦٥٠)، ومسلم حديث (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢٥) البخاري حديث (٣٦٥١)، ومسلم حديث (٢٥٣٣).

(٢٦) مسلم حديث (٢٥٣٤).

بُعِثْتُ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. . . » .

وذلك في خير البلاد، ألا وهي مكة المكرمة.

فقد قال رسول اللَّه ﷺ لمكة: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»(٢٧) .

إن قوله وحيٌ:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٣- ٥] .

لقد قال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ(٢٨) أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ. . . » .

---

(٢٧) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٥) وعبد بن حميد في «المنتخب» (حديث ٤٩٠).

(٢٨) صحيح: وأخرجه أبو داود (٤٦٠٤) والترمذي بنحوه (٢٦٦٤). وعنده من الزيادة: «وإن ما حرّم رسول اللَّه ﷺ كما حرّم اللَّه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٢٩)].

وعن أبي رافع عن النبي ﷺ قال: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»[(٣٠)].

ولقد قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ . . .﴾ [الحشر: ٧].

وقد أخرج البخاري ومسلم[(٣١)] من طريق علقمة قال: لَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ[(٣٢)] الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ.

فَقَالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: مَا هَذَا؟

---

(٢٩) البخاري حديث (٥٠٦٣)، ومسلم حديث (١٠٤١).

(٣٠) أبو داود حديث (٤٦٠٥) وإسناده صحيح.

وقد رواه سفيان عن ابن المنكدر مرسلًا، كما عند الترمذي.

(٣١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٨٣٦) وغيرهما.

(٣٢) هو ابن مسعود.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وهو في كِتَابِ اللَّهِ.

قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجدتُه.

فقالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ- وفي رواية: بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ- وَاختِلافِهِمْ عَلَى أَنْبيَائِهِمْ، فَإذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكم بأمرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٣٣).

ولقد امتن اللَّه على هذا النبي الكريم بهَدْيٍ هو خير الهَدْي وأكمله وأجمله وأحسنه: وصدق النبي ﷺ فقد كان يقول إذا خطب: «... وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٣٤).

(٣٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٣٤) مسلم (٨٦٧).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وأَحْسَنَ الهدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وإِنَّ مَا توعَدُونَ لَآتٍ ومَا أَنتمْ بِمُعْجِزِينَ»[٣٥].

هو ﷺ كمال الأنبياء
ونبوته تمام النبوات

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ[٣٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».

ومن تواضعه معهم: أنه كان يقول: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنبِيَاء...»[*]

(٣٥) البخاري (٧٢٧٧). (٣٦) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

(*) أخرجه مسلم (٢٣٧٤)، والبخاري (٢٤١٢) بلفظ: «لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ».

وكان يُثني عليهم غاية الثناء، ويترحم عليهم، ويذكر مناقبهم.

هو ﷺ المنقذ لأمته بإذنِ الله

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعندهما أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال[٣٧]: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[٣٨]، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ[٣٩] فِيهِ**».

أما عن صفاته وخُلُقِه ﷺ

فلقد كان هذا النبيُّ- صلوات اللَّه وسلامه عليه-

(٣٧) البخاري حديث (٦٤٨٣)، ومسلم حديث (٢٢٨٤).

(٣٨) الحُجَز: هي معقد الإزار والسراويل.

(٣٩) تقحمون: التقحم هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت.

أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ(٤٠).

لقد كان أحسن الناس خُلُقًا(٤١)

ولقد بُعث يتمم مكارم الأخلاق، فلقد قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ**» وفي رواية: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ**»(٤٢).

ولقد قالَ أبو ذَرٍّ لأَخِيهِ لمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبيِّ ﷺ: ارْكبْ إلَى هَذَا الوَادِي فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، فَرَجَعَ فَقَالَ: رَأَيْتُه يأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ(٤٣).

ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيارُكُمْ لِنِسائهِمْ**»(٤٤).

---

(٤٠) أخرج ذلك البخاري حديث (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤١) مسلم حديث (٢٣١٠)، وكذا فانظر البخاري حديث (٣٥٤٩)، ومسلمًا عقيب حديث (٢٣٣٧).

(٤٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٨) وهو صحيح لشواهده.

(٤٣) البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٤٤) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) وغيره.

وقال: «مَا مِنْ شيءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»[٤٥].

ولقد قال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»[٤٦].

وحتى العبادات التي أُمرنا بها تتضمن تهذيب الأخلاق

فالصلاة قال اللّه فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]

والصيام قال اللّه فيه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٣]

وقال ﷺ[٤٧]: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ»

---

(٤٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وعبد بن حميد (٢٠٤) بتحقيقي، وغيرهما.

(٤٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٤٧) البخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).

وقال أيضًا: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(٤٨).

والزكاة قال تعالى في شأنها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: الآية ١٠٣].

وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[البقرة: الآية ٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[البقرة: الآية ٢٦٤].

والحج قال الله فيه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة: الآية ١٩٧].

وفي المعاشرة الزوجية: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[البقرة: الآية ٢٢٩].

وفي البيوع: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(٤٩).

---

(٤٨) البخاري (١٩٠٣).

(٤٩) صحيح: مسلم (١٠١).

وفي التقاضي: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[٥٠].

لقد كان يأمر بالستر وينهى عن الفضيحة، فيقول ﷺ:

«مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامِةِ»[٥١].

ويقول: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إلا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامةِ»[٥٢].

وفيما أنزل اللَّه عليه من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: الآية ١٩].

بل ويأمر الشخص أن يستر على نفسه إذا أذنب. ففي «الصحيحين»[٥٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ: أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ

(٥٠) صحيح: البخاري (٢١٤٠)، ومسلم (١٦٠١).

(٥١) البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

(٥٢) مسلم (٢٠٠٢).

(٥٣) البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٢٩٩٠).

يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»

إنْ جَادَلَ يُجَادِلُ بالتي هي أحسنُ امتثالًا لأمر رَبِّه تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٤].

ولقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولكن إذا وصل الجدال إلى حَدِّ المِرَاءِ والانتصارِ للنفسِ، فينهى عنه النبي ﷺ، فلقد قال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وإِنْ كَانَ مُحِقًّا»(٥٤).

---

(٥٤) حسن لشواهده: أخرجه أبو داود حديث (٤٨٠٠).

يُنزل الناس منازلهم

□ فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأتي بأبيه أبي قُحافة إلى رسول اللَّه ﷺ، فيقول الرسول ﷺ لأبي بكر: «**لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ لَأَتَيْنَاهُ مَكْرُمَةً لِأَبِي بَكْرٍ**»(٥٥).

□ وها هو رسول اللَّه ﷺ يُنَزِّل أبا سفيان مَنْزِلَتَهُ باعتباره شيخًا لقريشٍ، فيقولُ النبيُّ ﷺ في فتحِ مكةَ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**»(٥٦)!!.

□ وها هو رسولنا ﷺ يُنَزِّل سعدَ بنَ معاذٍ منزلته باعتبارِه سيدًا للأوس، فيقول ﷺ للأنصار لما قدم سعدٌ للحكم في يهود بني قريظة: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»(٥٧) أو قال: «**خَيْرِكُمْ**».

---

(٥٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٠) بإسناد صحيح من حديث أنس رضي الله عنه وفيه: وجاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول اللَّه ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول اللَّه ﷺ فقال رسول اللَّه ﷺ . . فذكره.

(٥٦) أخرجه مسلم حديث (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥٧) أخرجه البخاري حديث (٦٢٦٢) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

وانظر كذلك إلى قول رسول اللَّه ﷺ في شأنِ عثمانَ ابن عفان رضي الله عنه: «أَلا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ»(٥٨).

ويراعي أحوال الصغار فيرفق بهم ويقدّر صغرهم

□ قال أنس بن مالك رضي الله عنه(٥٩): إنْ كَانَ النَّبيُّ ﷺ لَيُخالطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟».

□ وأخرج البخاريُّ ومُسْلِمٌ(٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ(٦١) عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا

(٥٨) مسلم حديث (٢٤٠١).

(٥٩) أخرجه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٦٠) البخاري حديث (٦١٣٠) ومسلم (مع النووي ٥/ ٢٩٥).

(٦١) البنات: هي صور البنات التي يلعب بها الأطفال.

دَخَلَ يَنْقَمِعْنَ[٦٢] مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ[٦٣] إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي».

□ وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ[٦٤] في «صحيحيهما» من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ».

ويراعي رسول الله ﷺ أحوال النساء

□ ففي «الصحيحين»[٦٥] من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه قال: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بالقَوَارِيرِ».

---

(٦٢) ينقمعن: أي يتغيبن ويدخلن وراء الستر.

(٦٣) يسربهن: أي يرسلهن.

(٦٤) البخاري (٥١٩٠)، ومسلم (٨٩٢).

(٦٥) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٥٣٨)، ومسلم (٥/ ١٧٧).

وينظر في حال السفيه كذلك

فلا يُعْطِيهِ المال يتصرفُ فيه كيف يشاء بالعبثِ والإتلافِ والإهلاكِ.

وأيضًا لا يُحْرَم حَقَّه وحظَّه من الاستمتاع كغيره.

□ قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء: الآية ٥].

ويراعي أحوال الكبار كذلك

□ قال ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حقَّ كَبِيرِنَا، ويَرْحَمْ صَغِيرَنَا»(٦٦).

□ وقال ﷺ: «أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ»(٦٧).

---

(٦٦) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٧).

(٦٧) أخرجه مسلم (٣٠٠٣)، البخاري معلقًا (٢٤٦).

لقد كان يأمر بإكرام الضيف وحسن الجوار

ولقد قالت له خديجة رضي الله عنها لَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا وقَدْ جاءه الوحيُ بحراءَ فتقول: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[(٦٨)] .

وفي «الصحيحين»[(٦٩)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

يحث على الرفق ويأمر به

فيقول: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ

(٦٨) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم حديث (١٦٠).
(٦٩) البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[٧٠].

ويقول: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ[٧١]»[٧٢].

يأمُرُ بالتثبتِ من الأخبارِ، والتماسِ الأعذار لأهل الفضل، واتقاء سيئ الظنون.

يَأْمُرُ بالإصلاحِ بَيْنَ الناسِ، وَيَنْهَى عن الغَيْبَةِ والنَّمِيمةِ.

يُكْرِمُ الضيفَ، ويواسِي المريضَ والمصابَ والأرملةَ واليتيمَ والمسكينَ.

نبيٌّ وكريمٌ متواضعٌ، ويأمرُ بالتواضع.

ولقد قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا

(٧٠) مسلم (مع النووي ١٢/ ٢١١).
(٧١) شانه: أي أعابه.
(٧٢) مسلم (٢٥٩٤).

يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[٧٣].

وقال: «وَمَا تَواضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[٧٤].

ولقد قال في رسالته لهرقل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]»[٧٥].

---

(٧٣) مسلم (٢٨٦٥).

(٧٤) مسلم (٢٥٨٨).

(٧٥) البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

يجالس الفقراء والضعفاء والمساكين

لا فَرْقَ عِندَهُ بينَ عَرَبِيٍّ وعَجَمِيٍّ إلا بالتقوى.

فتراه يُقرِّبُ بلالًا الحبشيَّ، وصهيبًا الروميَّ، وسلمانَ الفارسيَّ رضي اللَّه عنهم أجمعين.

ويأمره ربُّه بذلك فيقول: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

وصدق اللَّه إذ قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

[الحجرات: الآية ١٣].

لقد كان آمرًا بكلِّ معروفٍ، ناهيًا عن كُلِّ مُنْكَرٍ.

لقد جاء آمرًا ببرِّ الوالدينْ، وصلةِ الأرحام، آمرًا بالقسطِ والعدلِ، لقد جَاء يصحح المعتقدات ويُزيل الشُّبهات، ويدلُّ الناس على ربهم وخالقهم سبحانه.

لقد اجتمعت في هذا الرسولِ الكريم خصالُ الخيرِ ومكارمُ الأخلاقِ، من حياءٍ وكرم وشجاعةٍ ووفاءٍ ونجدةٍ وشهامةٍ وحسنِ استقبالٍ، وتواضُعٍ وحِلمٍ وإكرام يتيمٍ،

وحُسْنِ سريرة وصدقِ حديثٍ وعفةٍ وطهارةٍ وزكاةِ نفسٍ، لقد اجتمعت فيه كُلُّ خصالِ الخَيْر صلوات اللَّه وسلامه عليه.

ولقد نفى الله عنه كل سيئ وقبيح وأثبت له كل جميل وكريمٍ

وأقسمَ رَبُّنا على ذلك إذ قال سبحانه: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [القلم: ١-٤].

أخرج مسلمٌ في «صحيحه» من طريقِ سعدِ بنِ هشام بن عامر قال: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»(٧٦).

قال الحافظ ابنُ كثيرٍ رحمه اللَّه تعالى:

ومعنى هذا: أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا

---

(٧٦) مسلم حديث (٧٤٦).

سجيةً وخلقًا تطبَّعه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمرَهُ القرآنُ فعلَهُ، ومهما نهاهُ عنه ترَكَه، هذا ما جَبَلَهُ اللَّهُ عليه من الخُلُق العظيمِ، من الحياءِ والكَرَمِ، والشجاعةِ والصَّفْحِ، والحِلْمِ، وكُلِّ خُلُق جميل، كما ثبت في «الصحيحين» (٧٧) عن أنس قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا وَلَا مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ، وَلَا حَرِيرًا، وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ، وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وعن البراء رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَ النَّاسِ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ» (٧٨).

---

(٧٧) انظر «البخاري» (٦٠٣٨، ٦٩١١)، ومسلم حديث (٢٣٠٩).

(٧٨) البخاري حديث (٣٥٤٩).

والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشمائل».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا لَهُ قَطُّ وَلَا امْرَأَةً، وَلَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ أَيْسَرُهُمَا حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا؛ كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِثْمِ، وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ عز وجل فَيَكُونَ هُوَ يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عز وجل»(٧٩).

لقد أوتي جوامع الكلم

فالكلمات القليلة منه تحمل معاني عظيمة كثيرة.

كقوله: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»(٨٠).

وكقوله: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ

---

(٧٩) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٢٣٢).
(٨٠) البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[٨١].

وكقوله: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[٨٢].

لقد أيّد اللّه عز وجل هذا النبي الكريم بأعظم معجزة ألا وهي القرآن الكريم:

قال اللّهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: الآية ٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ[٨٣] مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ

---

[٨١] البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (ص ٧٠٤).

[٨٢] مسلم حديث (٣٨).

[٨٣] الآيات: هي المعجزات، والمعنى واللّه أعلم، المعجزات التي أوتيها الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم كعصا موسى، وناقة صالح، وشفاء عيسى للموتى بإذن اللّه و. . . . و. . . قد انتهت وانقرضت بانقراض أزمانهم وأعصارهم.

أما معجزة القرآن فباقية ومستمرة إلى يوم القيامة، وذلك في خرقه للعادات، وإخباره بالمغيبات، وإرشاده للجنات والخيرات، وتحذيره من الشرور والبليات، فما فيه يتحقق يومًا بعد يوم، فللّه الحمد رب العالمين.

الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٨٤) .

إن وجوه الإعجاز في هذا القرآن لا تنتهي:

- تقرؤه فتعرف ربك، وتتعرف على سنته في خلقه، وتعرف وحدانيته وأسماءه وصفاته.
- تقرؤه فيَرِقّ قلبك، وينذرف الدمع من عينيك.
- تقرؤه فتعرف ما يؤدي إلى الجنة من السبل فتسلكه، وتعرف ما يسوق إلى الجحيم فتتقيه!!.
- تقرؤه فتتأدَّب بما فيه من الأدب والفضائلِ!!.
- تقرؤه فتصحح معتقدك!!.
- تقرؤه فتعلم كثيرًا من أخبار الأمم والشعوب!!.
- تقرؤه فتوقن أنه من عند اللهﷻ !!
- اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ

(٨٤) أخرجه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢).

وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ .

● اقْرَأْهَا وتبيَّنْ ما فيها توقِنْ أن القرآنَ من لَدُنْ حكيمٍ حميد.

● اقرأْ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، وقولَهُ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ توقنْ أن القرآنَ من عِنْدِ اللَّهِ.

● وفي بابِ الآدابِ اقرأ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ . . .﴾ توقن أن القرآن من عند اللَّه.

● وفي بابِ الاعتقادِ والتوحيدِ اقرأْ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾.

● وفي بابِ الإخبارِ بما هو آتٍ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③﴾ [الروم: ٢-٣]

● وكذا الإخبارُ بالجنةِ والنارِ وبالملائكةِ والكتبِ والرسلِ والجنِّ والدوابِّ، وسائرِ المخلوقاتِ.

- إنَّ عجائبَ هذا الكتابِ العزيزِ لا تنقضي، وفوائدَهُ لا يأتي عليها الحصرُ، ومناقِبَهُ لا تُعدُّ ولا تُحصَى!.
- جعله اللَّه لقلوبنا ربيعًا، ولأبصارنا نورًا، ولهمومِنا وغمومِنا وأحزانِنا جَلاءً وذهابًا.

وهذه طائفة من المعجزات التي أيَّدَ اللَّه بها هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه:

نسوقها غيرَ مُبالين بمن كَذَّبها وغيرَ مكترثين بمن نفاها، فليس بعزيزٍ على اللَّه أن يؤيدَ رسلَه بما يشاءُ من المعجزاتِ.

- فقد جعل اللَّه النارَ بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ.
- وأيَّدَ صالحًا عليه السلام بناقةٍ ضخمة هائلة، لَبَنُها يكفي القبيلةَ بأسْرِها.
- وعصا موسى لا يخفى ما فيها من الآيات، فقد تحولت إلى حيةٍ تسعى، وضُرب بها البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطَّودِ العظيمِ، وضُرِبَ بها الحَجَرُ فانفجرت

منه اثنتا عشرة عينًا، وضُرِبَ بها حَجَرٌ آخر، فأثرت في الحجر، وتركَتْ به علامات.

□ وعيسى عليه السلام كان يُبرئُ الأكْمَهَ والأبرصَ ويحيي الموتى بإذنِ اللَّه!!.

□ وسُليمان عليه السلام سُخِّرت له الريحُ تجري بأمرِهِ رُخاءً حيث أصابَ، والشياطين كل بَنَّاء وغَواص!!.

□ وداود عليه السلام أَلَانَ اللَّه له الحديد!!.

□ ومريم عليها السلام كانت تأتيها فاكهةُ الصيفِ شتاءً، وفاكهةُ الشتاء صيفًا.

فليس بعزيز على اللَّه شيء من هذا، ولا أكبر منه.

فنؤمِنُ ونقرُّ بالمعجزاتِ التي صَحَّتْ بها الأسانيدُ وحدثت لنبينا محمد ﷺ.

□ لقد انشق القمر له صلوات اللَّه وسلامه عليه لما سأله المشركون أن يُرِيَهُمْ آيةً، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً(٨٥) بَيْنَهمَا(٨٦).

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ بِمِنًى فقال: «اشْهدوا»، وذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجبل(٨٧).

وأَيَّده برحلة الإسراء والمعراج:

ولقد جلَّى اللَّهُ له بيتَ المقدس وأظهرَه له كي يراه ويصفَه للناسِ لما غابَ عنه منظرُهُ وهيئَتُهُ.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»(٨٨).

(٨٥) يعني: غار حراء.

(٨٦) البخاري (٣٥٧٩) ومسلم (٥٠١٣).

(٨٧) أخرجه البخاري (٣٦٣٧) ومسلم (٢٨٠٢).

(٨٨) البخاري (٣٥٨٠).

لقد حنَّ الجزع لفراقه وبكى:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟

قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: **«كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»**(٨٩).

وفي رواية أخرى من حديث جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ.

(٨٩) البخاري (٣٥٩٧).

لقد نبع الماء من بين أصابعه وبورك له في الطعام القليل:

عن أنس رضي الله عنه قال: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بإِنَاءٍ وَهُوَ بالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في الإنَاء فجعلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأ الْقومُ.

قالَ قَتَادَةُ: قُلتُ لِأنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قالَ: ثَلَٰثِمائةٍ أوْ زُهَاءَ(٩٠) ثَلَٰثِمائةٍ(٩١).

لقد شفى اللّه عدة أمراض على يديه:

فعندما اشتكى عليٌّ عينيه، فبصق فيها النبي ﷺ فبَرَأَتا والحمد للّه(٩٢).

ولَمَّا كُسرت ساقُ عبد اللّه بن عَتِيكٍ رضي الله عنه، فمسحها النبي ﷺ بَرَأَتْ بإذن اللّه(٩٣).

---

(٩٠) زهاء: أي: ما يقارب.

(٩١) البخاري (٣٣١٩).

(٩٢) البخاري (٣٣٠٧) ومسلم (٢٤٠٦).

(٩٣) البخاري (٤٠٣٩).

وورد في بعض تراجم أحفاد أبي قتادة أنه قال:

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ
فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَجْمَلَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لأَوَّلِ أَمْرِهَا
فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَا خَدِّ

لقد تأدب الحيوان معه، وأذعنت الأشجار له، وسلَّمت الأحجار عليه

وأخرج الإمام أحمد بسندٍ حسنٍ (٩٤) من حديثِ عائشةَ قَالَتْ: كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ (٩٥)، فَكَانَ إذا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اشْتَدَّ وَلَعِبَ فِي الْبَيْتِ، فَإِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَكَنَ فَلَمْ يَتَحركْ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ.

وفي هذا الباب: ما أخرجَه أَحْمَدُ من حديثِ عبدِ اللَّهِ

(٩٤) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١١٢- ١١٣).

(٩٥) أصل الوحش كل ما لا يستأنس من دواب البر، ولكن الذي يتبادر إلى الذهن هنا أنه القط واللَّه أعلم.

ابن جعفر قال: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَغلتَه وَأَرْدَفَني خَلْفَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا تبرَّزَ كَانَ أَحَبَّ مَا تبرَّزَ فيهِ هَدَفٌ يسْتَتِرُ بِهِ، أَوْ حَائشُ نَخْل، فَدَخلَ حَائطًا لِرَجُلٍ منَ الأنْصَارِ فَإذَا فيهِ نَاضِحٌ لهُ، فَلمَّا رَأى النَّبيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْناهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ وَسَرَاتَهُ فَسكنَ فَقَالَ: «مَنْ ربُّ هَذَا الجَمَلِ؟»، فَجَاءَ شابٌّ مِنَ الأنْصَارِ فَقَالَ: أنَا، فَقَالَ: **«ألا تَتَّقِي اللَّهَ في هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتي مَلَّكَكَ اللَّهُ إيَّاهَا؟ فَإنَّهُ شكَاكَ إليَّ وَزَعَمَ أنَّكَ تُجيعُهُ وتُدْئِبُهُ»**(٩٦).

أما إذعان الأشجار له صلوات الله وسلامه عليه

فقد أخرجَ أحمدُ بسندٍ صحيح من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: أَتَى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامرٍ، فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَرِنِي الخَاتَمَ الذِي بَيْنَ كَتِفيْكَ، فَإنِّي أَطْبَبُ(٩٧) النَّاسِ، فَقَالَ لهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ألا أُرِيكَ

(٩٦) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٥).

(٩٧) كذا في «المسند». أي: من أعلمهم بالسحر.

آيَةً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَنَظَرَ إلى نخلةٍ فقَالَ: «ادْعُ ذَلكَ العِذْقَ» قال: فَدَعَاهُ فَجاءَ يَنْقُزُ(*)، حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْجِعْ» فَرَجَعَ إلى مَكَانِهِ، فَقَال العَامِريُّ: يَا آلَ بَني عامرٍ مَا رأيتُ كَاليومِ رجُلًا أَسحر(٩٨).

ومن هذا الباب: ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(٩٩) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه من أن الذي أخبر رسول اللَّه ﷺ باستماع الجن إليه هي شجرة، فقد ساق البخاري بإسناده إلى معن بن عبد الرحمن قال: سَأَلْتُ مَسْروقًا: مَنْ آذَنَ النَّبيَّ ﷺ بِالجنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا القُرْآنَ؟ فَقَال: حَدَّثني أَبُوكَ يَعني- عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُودٍ- أَنَّهُ آذنتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ.

(*) أي: يقفز، فتقول: نَقَزَ الظبي وغيره من عدوه، ونقز نقزًا نُقزانًا: وثبَ صُعُدًا وقفز، ونقز الشيءَ عنه: دفعه. [المعجم الوسيط مادة نقز (٩٤٦)].

(٩٨) أي: أسحر من هذا الرجل، والحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣) بسند صحيح.

(٩٩) البخاري (٣٨٥٩) ومسلم (٤٥٠).

أما تسليم الأحجار عليه صلوات اللَّه وسلامه عليه:

فقد أخرجَ مسلمٌ في «صحيحِهِ» من حديثِ جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأعْرِفُهُ الآنَ**»[١٠٠].

لقد أخبر ﷺ بأمور وقعت بعيدًا عنه فور وقوعها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعى النَّجاشيَّ في اليومِ الَّذي ماتَ[١٠١] فيهِ، خَرجَ إلَى المُصلى فَصفَّ بهِمْ وَكَبَّرَ أرْبَعًا.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ**

(١٠٠) صحيح مسلم (٢٢٧٧).

(١٠١) ولم يكن ثمَّ هواتف ولا تليفونات ولا أقمار صناعية، ولا نحو ذلك، ولكن اللَّه تعالى أيده بالعلم بذلك.

زَيْدٌ فَأُصِيبَ[١٠٢] ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»[١٠٣] .

وأخبر عن أمور لم تكن وقعت فوقعت كما أخبر

والوقائعُ في هذا البابِ أكثرُ من أن تُحصَرَ، نذكرُ منها :

قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ٢، ٣] .

ومنها : ما أخبر به النبي ﷺ من أن كسرى سيهلك ولن يكون هناك كسرى بعده وكذلك قيصر، فوقع الأمر كما أخبر ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ

(١٠٢) فأصيب: أي قتل، وذلك يوم مؤتة.
(١٠٣) البخاري (٤٢٦٢).

بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(١٠٤).

ومنها: ما أخبر به رسول اللَّه ﷺ أن أمته ستُقلِّد أعداءَ الإسلام، فكان الأمرُ على ما أخبرَ النبي ﷺ.

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!!»(١٠٥).

ومنها: إخباره بالكاسيات العاريات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ

(١٠٤) البخاري (٣٠٢٧) ومسلم (٢٩١٨).
(١٠٥) البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[١٠٦]

ولقد أكرم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ طائفةً من أصحاب هذا النبي الكريم ببعض المعجزات.

وذلك ببركةِ اتباعِهِم له.

من هذه المعجزات[١٠٧]: إضاءةُ العصا لأُسَيْد بن حُضَيْرٍ وعَبَّادِ بن بشرٍ رضي الله عنهما.

ومنها: شُربُ خالدٍ السمَّ فلم يضرَّه.

ومنها: رزقُ اللَّهِ لخُبيب فاكهةَ الشتاءِ في الصيفِ وفاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ.

ومنها: نزولُ الملائكةِ على أُسيدِ بنِ حُضيرٍ وهو يقرأ القرآن.

---

(١٠٦) صحيح مسلم (٢١٢٨).

(١٠٧) راجع كل ذلك- إن شئت- في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

القرآن.

ومنها: سَلَامُ الملائكةِ على عِمْرَانَ بن حُصين. إلى غير ذلك.

لقد أثنى الله ﷻ على هذا النبي خير ثناء، ودافع عنه خير دفاع

نفى الله عنه الجنون: فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ [القلم: ٢].

ونفى الله عنه الكهانة: فقال: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور: ٢٩].

لقد نفى الله عنه الكذب والافتراء: فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾

[الحاقة: ٤٤- ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ۝٧٣ وَلَوۡلَآ أَن

ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٣- ٧٥].

ولقد نفى اللَّه عنه التُّهَم: فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التكوير: ٢٤].

قيل: المعنى: ليس هذا النبي ﷺ بمتهمٍ فيما يُخبر به عن اللَّه ﷻ.

وقيل: وما هو ببخيل أي: لا يضن بالإخبار عن اللَّه ﷻ بكُلِّ ما يُقَرِّبُ منه -سبحانه- ومن جَنَّتِه، وأخبر بكل ما نتجنب به النار إلى غير ذلك مما كُلِّف به عليه الصلاة والسلام.

* * *

ولقد أكرم اللَّه نبيه ﷺ إكرامًا حسنًا وأنزله منزلةً حسنةً

فمن صور هذا الإكرام: ما ذكره العلامة الشنقيطي[١٠٨] حيث قال:

وقد دلت آيات من كتاب اللَّه على أن اللَّه تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]، مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم.

ومن ذلك الإكرام:

قولُ اللَّهِ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ

(١٠٨) باختصار.

وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح ١ - ٣].

ومن صور هذا الإكرام والثناء الحسن:

أن اللَّه ﷻ يصلي على هذا النبي وكذا ملائكتُهُ، ويأمرنا ربنا بالصلاة عليه والتسليم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

وجعل اللَّه أجرًا في الصلاة عليه، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (١٠٩).

وفي الحديث الثابت أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ؛ إلا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عليهِ السَّلامَ» (١١٠)

(١٠٩) أخرجه مسلم (٤/ ١٢٧).

(١١٠) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ٥٣٤).

واقرأ هذه الآيات وانظر فيها متدبرًا متأملًا قوله تعالى :

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه : ١-٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾

[الذاريات : ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور :

٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء : ٢١٧- ٢١٩] .

وكذلك فتدبر قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

وَقوله : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وقوله : ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح : ٢] .

وقوله : ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم : ٤] .

ولما زَعَم المشركون أنَّ اللَّه عز وجل قد قَلَى رسوله ﷺ

وهجره، أقسم اللَّه تبارك وتعالى على أنه ما وَدَّعه وما قلاه قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ١-٥].

أما سبب نزولها فهو: ما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[١١١] من حديثِ جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يقُمْ لَيْلَتَينِ أوْ ثَلاثًا، فَجَاءَتِ امْرأَةٌ فَقَالتْ: يَا مُحمَّدُ إنِّي لأرجُو أنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلتينِ أوْ ثَلاثٍ.

فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١-٣].

---

(١١١) أخرجه البخاري حديث (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧). (ص ١٤٢٢).

ولقد أقسم الله عز وجل بحياة رسوله ﷺ وفي هذا مزيدٌ من الإكرام والتعظيم

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢]

قال القاضي عياض في كتاب «الشفا»: اتفق أهل التفسير في هذا أنه قَسَمٌ من اللَّه جل جلاله بمدةِ حياةِ محمد ﷺ وقال: ومعناه: وبقائِك يا محمد، وقيل: وعيشِك، وقيل: وحياتِك.

وهذا نهايةُ التعظيم وغايةُ البرِّ والتشريفِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق اللَّه تعالى وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ، وما سمعت اللَّه تعالى أقسم بحياة أحدٍ غيرِه.

وانظر إلى جميل الخطاب:

في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣]

وكذا جميلُ الخطابِ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

وانظر إلى هذا الإكرام والحفظ:

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]

وقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]

وقوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧]

ولقد خصَّه الله بخصائص:

- فقد أوتي جوامعَ الكَلِمِ.

□ وكان يرى من وراء ظهره في الصلاة.

□ وكذا فعيناه تنامان ولا ينام قلبه.

□ وقد كانوا يتحدثون أنه صلوات اللَّه وسلامه عليه أُوتي قوة ثلاثين في الجِمَاع.

□ وكذلك قوله: «**إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي...**» إلى غير ذلك من خصائصه صلوات اللَّه وسلامه عليه.

• وكلُّ ما فارقَ فيه البشرِ فلابد وأن يكون بنصٍّ.

وكذلك فانظر إلى توقير صحابة رسول اللَّه ﷺ لرسولهم الكريم:

يَصِفُ هذا التوقيرَ رجلٌ كان -عند وصفه- كافرًا، ألا وهو عروةُ بنُ مسعودٍ الثقفيِّ الذي أُرْسِلَ من قِبَلِ قومِهِ ناصحًا لهم ومشيرًا عليهم، فانظر إلى كلماته بعد أن رَجَعَ من عندِ رسولِ اللَّه ﷺ، وهو ينقل لقومه خبر ما رأى.

ففي «الصحيح»[١١٢]: أنه (أي: عروة بن مسعود الثقفي) قال لأصحابه: «أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ».

ومن الحق ما شهدت به الأعداء

فهذا هرقلُ يسأل أبا سفيانَ، ويجيبه أبو سفيانَ- وكان أبو سفيان وقتها كافرًا-.

قال هرقلُ للترجمان[١١٣]: «قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ،

(١١٢) البخاري حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(١١٣) البخاري حديث (٧).

فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ».

وانظر إلى عظيم حق هذا النبي الكريم ﷺ على أمته:

في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾

[الأحزاب: ٦]

ومن صُوَرِ الإكرامِ والإجلالِ والتقديرِ: النهيُ عن التقدمِ بينَ يديه ورفعِ الصوت فوقَ صوته.

فالتقدمُ بين يديهِ ورفعُ الصوتِ فوقَ صوته- صلوات اللَّه وسلامه عليه- مؤذنٌ بإحباط الأعمال وذهاب ثوابها.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١، ٢]

لقد أرشدت هذه الآيات الكريمة إلى أدبٍ نتأدب به مع نبينا ﷺ:

أدبٌ مع رسول اللَّه ﷺ: فلا نتقدمُ بينَ يديهِ بأمرٍ، ولا نرفعُ شيئًا فوق سُننِه، ولا نرفعُ صوتًا فوق صوتِه، ولا نقدم شرعًا على شرعه صلوات اللَّه وسلامه عليه.

أدبٌ مع رسول اللَّه ﷺ: في ندائه كما قال ربنا: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

أدبٌ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ: استُفيد من قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧].

فيُلزمنا ذلك بأن نتَّهِمَ آراءنا دائمًا، ونقدم قول رسولنا محمد ﷺ في كل وقت وحينٍ فهو صلوات اللَّه وسلامه عليه بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ.

أدبٌ مع رسول اللَّه ﷺ في تركِ المَنِّ عليه بإسلامنا:

بل يجب علينا أن نثنيَ عليهِ ونصلِّيَ عليه، ونسأل ربنا له

أعلى الدرجات وأفضلَ المقاماتِ؛ إذ جعله اللَّهُ سببًا في هدايتنا صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه.

أما عن معنى الآية الكريمة: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

أي: لا تقدموا رأيًا حتى تطلعوا على الكتاب والسنة، وتعلموا هل فيهما شيءٌ بخصوصِ الأمر الذي تريدونه أم لا؟

لقد نزلت هذه الآيةُ الكريمةُ في الشيخين الكريمينِ الجليلين المُبشرين بالجنةِ صاحبي رسولِ اللَّه ﷺ، أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، وليس في سبب النزول أنهما خالفا رسولَ اللَّه ﷺ، ولا أنهما عصيا أمرَهُ، وإنما تناقشا فيما بينهما بأمرٍ وأشار كل واحد منهما بأمرٍ، واختلفا وارتفعت أصواتهما في حضور النبي ﷺ، والنبي ﷺ لم يتكلم، ففيهما نزل ما نزل.

أخرج البخاريُّ[(١١٤)] من حديث عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما

(١١٤) البخاري حديث (٤٣٦٧).

قال: «قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرْ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحجرات: ١] حَتَّى انْقَضَتْ».

وأخرج البخاري(١١٥) أيضًا من طريق ابنِ أبي مليكة(١١٦) قال: كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ:

(١١٥) البخاري (٧٣٠٢).

(١١٦) وهذا صورته صورة المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل: حدثنا نافع عن ابن عمر بن جُميل الجمحي، حدثني ابن أبي مليكة، حدثني عبد الله بن الزبير... فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له فاتصل السند بذلك، لكن المؤمل في حفظه شيء إلا أن الحديث تشهد له الرواية الأولى التي قدمناها. والله أعلم.

مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾[الحجرات: ٢، ٣] قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ، يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ - إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ».

ولقد طمأن الله نبيه ﷺ وأراح له باله

لقد كان النبي ﷺ يقلب بصره في السماء راجيًا اللَّه ﷻ أن يُوَجِّهه إلى الكعبة يصلي إليها بدلًا من توجهه إلى بيت المقدس. فسبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]

ما أخرجه البخاريُّ(١١٧) في «صحيحه» من حديث البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ

(١١٧) البخاري حديث (٤٤٨٦).

يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى- أَوْ صَلَّاهَا- صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وصدقت عائشة رضي الله عنها إذ قالت للنبي ﷺ: ما أُرى رَبَّكَ إلَّا يُسارع فِي هَوَاكَ، وذلك عند نزول قول اللَّه تعالى: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١].

أخرج البخاري[١١٨] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١] قُلتُ: مَا أُرَى رَبَّك إلا يُسارعُ في هَوَاكَ.

- إنه لا ينعقد لأحد إسلامٌ إلا بالشهادة لهذا النبي الكريم صلوات اللّٰه وسلامه عليه بالرسالة.

- ولقد أخذ اللّٰه ميثاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يؤمنوا بهذا النبي إذا بُعث فيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: الآية ٨١].

---

(١١٨) البخاري حديث (٤٧٨٨).

إنه شهيد على أمته يوم القيامة وأمته شهداء على سائر الأمم

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣]

أخرج البخاريُّ ومسلم [(١١٩)] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مَحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(١١٩) البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٢٨)، ومسلم (مع النووي ٧/ ١٨).

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوَسَطُ: العَدْلُ».

لقد أذهب الله الرجس عن أهل بيته وطهرهم تطهيرًا

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

أما عن منزلته يومَ القيامةِ: فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا سيدُ وَلَدِ آدمَ[١٢٠] يَوْمَ القيامةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شافِعٍ وَأَوَّلُ مُشفَّعٍ»[١٢١]

إنه صاحب الشفاعة العظمى

لقد قال عليه الصلاة والسلام: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ،

---

(١٢٠) في البخاري حديث (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤): «أنا سيد الناس يوم القيامة...».

(١٢١) أخرجه مسلم حديث (٢٢٧٨).

فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١٢٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[١٢٣] .

وأول من يدخل الجنة
وأول من تُفتح له أبوابها

أخرج مُسْلِمٌ في «صحيحه» من حديث أنس رضي الله عنه

(١٢٢) أخرجه البخاري حديث (٧٤٧٤)، ومسلم حديث (١٩٨).

(١٢٣) البخاري حديث (٣٣٥)، ومسلم حديث (٥٢).

وهذه الشفاعة المذكورة في الحديث يفسرها ما ورد في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تبعًا»(١٢٤).

وفي روايةٍ عن أنس(١٢٥) أيضًا قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

إن الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه يرجوها رسولنا ﷺ لنفسه

أخرج مسلم(١٢٦) في «صحيحه» من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ

(١٢٤) مسلم حديث (١٩٦).
(١٢٥) مسلم حديث (١٩٧).
(١٢٦) مسلم (٣٨٤).

مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

لقد أعطاهُ اللَّهُ الكوثرَ ومَنَّ عليه بالحوض المورود

أما الكوثر: فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالكوثر: نَهْرٌ في الجَنَّةِ أعطاهُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وستأتي الأحاديثُ صريحة في ذلك.

ومن العلماء من قال: إن الكوثر هو حوض رسول اللَّه ﷺ، وهذا القول قولٌ قويٌّ أيضًا، ويجمع بينه وبين الأول: أن النهر حوض(١٢٧) كما في «صحيح مسلم» من

(١٢٧) وقد جمع بعض أهل العلم بأن قالوا: ووجه التوفيق بين هذا القول وبين القول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض، أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض، فيكون ذلك الحوض كالمنبع.

حديث أنس رضي الله عنه... وفيه أن النبي ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ...» الحديث [(١٢٨)].

وقد صحح القرطبي رحمه الله: القول القائل بأن الكوثر هو النَّهْرُ أو الحوضُ، قال: لأنه ثابتٌ عن النبيِّ ﷺ نصٌّ في الكوثر.

قلت: وقد ذكر بعض العلماء أقوالًا أخر في الكوثر [(١٢٩)]، فمنهم من قال: إن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ فيدخل فيه النهر والحوض والنبوة والقرآن وكثرة الأتباع والأصحاب والأمة، وتخفيف الشرائع، و... إلى غير ذلك، والأولى هو ما قدمناه وهو الذي عليه جماهير العلماء أن الكوثر هو النهر، وهو الذي فسره به رسولُ اللَّهِ ﷺ

(١٢٨) أخرجه مسلم حديث رقم (٤٠٠).

(١٢٩) ذكر القرطبي منها ستة عشر قولًا.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعة هذا النبي الكريم واتباع سنته وامتثال أوامره!

وحذرنا أشد التحذير من مخالفته وعصيان أمره!!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٢١﴾ [الأنفال: ٢٠، ٢١].

ثم عقب ربنا ذلك بقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢].

ولقد قال جلَّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].

فأشعرت الآيةُ وأفادت أن عدم الطاعةِ مبطلٌ للأعمالِ مُذهبٌ لثوابها!!!

ثم إنه ليس لنا الخيار في اتباع هذا النبي الكريم: بل لزامًا أن نسمع ونطيع ما دمنا مسلمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثم فليُعلم أن طاعةَ هذا النبيِّ الكريمِ صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه، من طاعةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قال اللَّه تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

إن طاعته سبب الفوز العظيم

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

أما اتباعه ﷺ ففيه كُلُّ خيرٍ، وكُلُّ فَضْلٍ، وَكُلُّ بَرَكَةٍ.

فنَحْظَى بمحبةِ رَبِّنا باتباعنا رسولَه ﷺ، وتُغفر لنا ذنوبنا.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١]

وصدق أهل العلم الذين قالوا: إن هذه الآية حاكمةٌ على من ادعى محبة اللهﷻ

فلا يُتصور أن شخصًا يحب اللهﷻ ، ثم هو يعصي نبي اللهﷺ ويخالف أمره.

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ
هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأَطَعْتَهُ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]

وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٨]

وطاعته سبب الهداية والفلاح

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]

وفي طاعته حياة القلوب

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

وطاعته سبب الرحمة

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]

وطاعته سبب لدخول الجنة

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وفي «الصحيح»(١٣٠): أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

ولقد توعد اللَّه سبحانه وتعالى من عاند نبيه ﷺ بأليم العقاب

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

لقد أزال اللَّه سلاطين وملوكًا عاندوا هذا النبي الكريم.

---

(١٣٠) البخاري حديث (٧٢٨٠) وفيه بعض الكلام اليسير.

لقد أزال اللَّه دولة الأكاسرة، ودولة القياصرة على يد أتباع هذا النبي الكريم.

لقد هلك كسرى فلم يكن بعده كسرى، وهلك قيصر فلم يكن قيصر بعده.

ولقد عجَّل اللَّه عقوبة أشخاص عاندوا هذا الرسول الكريم وكذبوه، وأخَّر عقوبة آخرين إلى يوم يبعثون.

أخرج البخاريُّ[(١٣١)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا، فَأَلْقَوْهُ فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ،

---

(١٣١) البخاري (٣٦١٧).

فَأَلْقَوْهُ خَارِجَ الْقَبْرِ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ»

ومن هذا أيضًا: حديث ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ! قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ،

وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ(١٣٢)، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ»، وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ(١٣٣).

وصحَّ عن أنس بن مالك(١٣٤) رضي الله عنه أنه قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَقَالَ: إِيش رَبّكَ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ؟! مِنْ حَدِيدٍ هُوَ؟! مِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟! مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟! مِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟! فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَرْسَلَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ عَلَى صَاحِبِكَ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ»، فنزلت

---

(١٣٢) في بعض الروايات أُبي بن خلف، وفيها: فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر غير أن أُمية أو أُبيًّا تقطعت أوصاله فلم يُلق في البئر.

(١٣٣) البخاري (٢٣٣).

(١٣٤) البزار «كشف الأستار» (٣/ ٥٤) بسندٍ صحيحٍ.

هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

وهذه عقوبة مَن لم يوقِّر قوله ﷺ حق التوقير:

عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ». مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ(*).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَاه جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟». قَالَ: حَزْنٌ. قال: «أَنْتَ سَهْلٌ». قَالَ: لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي.

قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتِ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ.

ثم هذه نصوص تحذر وآيات تُرهِّب من مخالفة هذا النبي الكريم ومن عصيانه ومن إيذائه:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ

(*) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

ولقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥] .

إن الذِّلَّة والصَّغار يلازمان من خَالَفَ أَمْرَ رسولِ اللَّه ﷺ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ٢] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٥] .

لقد صَدَرَ بعضُ الاستهزاءِ من بعضِ المجرمين على عهدِ رسولِ اللَّه ﷺ ، فماذا قال اللَّه فيهم؟

لقد قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦]

وورد في ذلك: ما صحَّ عن عَبدِ اللَّه بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هؤَلَاءِ، أَرْغَبَ بُطونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِندَ اللِّقَاءِ! فقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ! لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ! ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ. قَالَ عَبدُ اللَّه بنُ عمرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحِقْبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ!»، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ (١٣٥).

---

(١٣٥) أخرجه الطبري (١٦٩٢٨) بسند صحيح.

إنَّ هؤلاء الذين يُخالفون أمرَ النبيِّ الكريم ويُعاندونه وينالون منه سيأتي عليهم- لزامًا- يومٌ يندمون فيه أَشَدَّ الندمِ على مخالفتهم له وعصيانهم.

قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: الآيات ٢٧- ٢٩]

ولقد قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٢]

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ٢٧]

□ إنهم سيقولون وهم يَصْلَوْنَ النارَ ويذوقون حَرَّها وسَمُومها: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]

إن عصيان هذا النبي الكريم ومخالفة أوامره مُؤْذِن بالعذاب الأليم

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وعصيانه سببُ الضلال المبين

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وعصيانه سبب دخول الجحيم عياذًا بالله منها

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

[النساء: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

ولقد نفى اللَّه الإيمان عمَّن لم يحكِّموا نبيَّهم فيما شجر بينهم وأقسم بنفسه على ذلك(١٣٦)

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فهذا رسولنا ﷺ قد تقدَّمت بعضُ مناقبه وبعض فضائله، وبيان ما له علينا من الحق:

ثم هذا مزيدُ بيانٍ لحقِّ خير الأنام عليه الصلاة والسلام، فنقول، وباللَّه التوفيق، وابتداءً:

فحقٌّ للَّه علينا أن نشكره على ما امتنَّ علينا به من بعثةِ النبي ﷺ فينا وإلينا، فللَّه الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، للَّه الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وصلوات اللَّه وسلامه على نبي اللَّه إبراهيم إذْ دعا لنا، فقال عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

(١٣٦) ويدخل في ذلك تحكيم سنته من بعده ﷺ.

ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩] فاستجاب اللَّه دعاءه.

فجزى اللَّه خليل الرحمن خيرًا على دَعْوَته، والحمد للَّه رب العالمين.

أما حَقُّ هذا النبي ﷺ فلن نستطيع حَصْرَه والإتيانَ عليه فصلوات ربي وسلامه عليه، ولكن ما لا يدرك كله لا يُتْرَك جُلُّه، فنقول وباللَّه التوفيق:

إن من حَقِّ هذا النبيِّ الكريم علينا: أن نؤمن به ونرضى به نبيًّا ورسولًا.

إن من حَقِّ هذا النبي علينا: أنْ نَتَّبِعَه حَقَّ الاتباع ونتأسَّى به حَقَّ التَّأسِّي، ونقتدي بهديه حقَّ الاقتداء؛ امتثالًا لأمر اللَّه تبارك وتعالى إذ قَدْ أَمَرَنا بطاعته، وحثنا على التأسي به، كما قد تقدَّم.

إذ قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

[الأحزاب: ٢١]

- فخيرُ أُسْوَةٍ لنا هو نبينا محمد ﷺ.
- نتأسَّى به في أقوالِهِ! كما نتأسَّى به في أفعاله!
- نتأسَّى به في هَدْيِهِ ودَلِّه وقَصْدِه، كما نتأسَّى به في عُمومِ سِيرَتِهِ.

وقد قال ﷺ في موعظته البليغة التي ذَرَفَتْ منها العيونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١٣٧).

وقال صلوات اللَّه وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١٣٨).

---

(١٣٧) صحيح بشواهده: وقد أخرجه أبو داود (٤٦٠٧).

(١٣٨) البخاري حديث (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

وفي روايةٍ لمسلم[١٣٩]: «وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

من حقه علينا أن نُدَافِع عن سُنَنِه ونكون أنصارًا لدينه وشريعته:

فدينُنا دينُه وشرعُنا شرعُه، رضينا باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا.

من حَقِّه علينا: أن نحمل عنه ما عَلَّمَناه ونُبلِّغَه للناس، إذ النبي ﷺ قد قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[١٤٠].

وقال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»[١٤١].

من حَقِّ هذا الرسول علينا: أن نُقَدِّم مَحَبَّته على مَحَبَّة أهلينا، وأبنائنا وبناتِنا، وآبائنا وأمهاتنا، بل على محبة أنفسنا.

---

(١٣٩) مسلم (عقب الحديث السابق).

(١٤٠) أخرجه البخاري حديث (٣٤٦١).

(١٤١) صحيح متواتر.

أخرج البُخَاريُّ من حديثِ عبدِ اللَّه بن هشام قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»[١٤٢].

□ إن آراءنا وأقوالنا إذا اختلفت مع قول رسولِ اللَّهِ ﷺ لا يَسَعُنَا إلا أن نُقَدِّم قول الرسول ﷺ على أقوالنا وحُكم الرسولِ ﷺ على آرائنا، فاختياره لنا خيرٌ من اختيارنا لأنفسنا، ويكفينا ما تقدم ذكره من كتاب اللَّه ﷻ، إذ قال عن نبيه ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

□ ولنعلم أن اختياره لنا خيرٌ من اختيارنا لأنفسنا، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ

(١٤٢) البخاري حديث (٦٦٣٢).

مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧]، أي: لنزلت بكم المشقة، ولحلَّ بكم العنت. والله أعلم.

□ وانظر إلى ما كان من عمر رضي الله عنه يومَ الحديبية، وهو يرقُبُ قضيةَ الصُّلْحِ بين رسولِ اللَّهِ ﷺ والمشركينَ، وينظرُ بنودَ الاتفاقية ويرى فيها تنازلاتٍ كثيرةً من المسلمين للمشركين، مع أن أحوالَ المسلمين الحربيةَ والعسكرية آنذاك كانت أحسنَ بكثيرٍ من أحوالها من قبلِ من ناحية العَدَدِ والعُدد.

□ إن عمرَ ينظرُ إلى تَعَنُّت سُهيلِ بن عمرٍو وهو يقول: لا تكتبْ بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، ولكن اكتبْ باسمك اللَّهُمَّ!! ينظر عُمرُ إليه كذلك وهو يقولُ: لا تكتبْ محمد رسول اللَّه، ولكن اكتب اسْمَكَ واسْمَ أبيك فلا نُقِرُّ لك بالرسالة!! ينظر إلى الاتفاقيةِ، وفيها: لا يأتي أحدٌ من المشركين مسلمًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا ويَرُدُّه النبيُّ للمشركين، وإذا أتى أحدٌ من المسلمين إلى المشركين مُرْتدًّا فلا يُرجعوه إلى المسلمين، فيرى عمر من وجهة

نظره أنْ هذه التنازلات لا ينبغي أن تكون، ويراجع النبيَّ ﷺ في ذلك، ويراجع أبا بكر في ذلك، ولكن كان رأي رسول اللَّه ﷺ الأسَدَّ والأرشَدَ والأقومَ والأصحَّ!!

□ فكم من شخصٍ قد أسلم بعد هذا الصلح، لقد أسلم آلافٌ من المشركين ودخلوا في دين اللَّه أفواجًا.

ومن هؤلاء الذين أسلموا وحسن إسلامهم جدًّا:

سهيلُ بن عمرٍو نفسُه، وقد أبلى بلاءً حسنًا في الإسلام بعد ذلك!!.

□ لقد حُقنت دماءٌ، وأُنقذ أقوام من النار التي كانوا سيدخلونها إذا ماتوا على الشرك.

وهذا شيء عن هذا الصلح وما كان فيه:

أخرج البخاري(١٤٣) من حديث المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قصةَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ وفيه: «فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ

(١٤٣) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ» فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ

دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ**» قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**» قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «**بَلَى فَافْعَلْ**» قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟- وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ-، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَى. فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**».

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ؛ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا»

ومن حق هذا النبي الكريم علينا: أن نمتثلَ أمره بعدم الغُلُوِّ فيه: إذ قد قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»(١٤٤).

فهو صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه بشرٌ كسائر البشر كما

(١٤٤) أخرجه البخاري حديث (٣٤٤٥).

قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]

وكما قال عليه السلام: «أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ...». وقال أيضًا: «وأَنسى كَمَا يَنْسَى الْبَشَرُ...».

فلا يجوز لنا أن نُنْزِله منزلة الرب سبحانه وتعالى، فنبينا محمد ﷺ عبدٌ للَّه مطيعٌ له، ثم إنه رسول اللَّه ونبيُّهُ عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾

[البقرة: ٢٣]

فرسولنا عبدٌ للَّهِ كسائرِ عبيدِ اللَّه إذ اللَّه قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾

[مريم: ٩٣]

إننا كمسلمين -ولله الحمد- يختلف موقفنا من نبينا ﷺ عن موقف الكفار منه.

إننا نُقِرُّ لهذا الرسولِ ﷺ بالرسالةِ ونفتخرُ بذلك، ونسأل اللَّه الثبات على ذلك.

ومن ثمَّ فنحن نعتقد صحةَ كُلِّ ما فعله نبينا ﷺ، فكلُّ ما فعله صحيحٌ ونتهمُ آراءنا، وندفع في وجه خصومنا بكُلِّ قوةٍ. فجوابنا الأصيل على كل ما يُثار حول هذا الرسولِ الكريم من شبهات يطرحها أهل الباطل، أن نقول: إنه رسولُ اللَّه ﷺ ولن يعصيَ ربَّه ﷻ، كما قد قال الصديق أبو بكر لعمر رضي الله عنه.

فهذا جوابنا الأصيل، وإن كانت ثمَّ أجوبة أخرى تُلتمس!!.

فرضينا باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ رسولًا.

ومن حقه علينا صلوات اللَّه وسلامه عليه: أن نُوَقِّره عند ذكره، فلا نذكره باسمه المجرد، بل نذكره بكل جميل، نذكره بقولنا: «رسول اللَّه ﷺ»، نذكره بـ«نبي اللَّه ﷺ»، نذكره بـ«سيد ولد آدم»، نذكره بـ«خاتم النبيين ﷺ»... إلى غير ذلك من جميل الألفاظ، إذ

اللَّه قال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

من حق هذا النبي الكريم علينا: أن نكثرَ من الصلاةَ والسلام عليه امتثالًا لأمر اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ويتأكد حقه في الصلاة عليه عند ذكره صلوات اللَّه وسلامه عليه.

من حقه علينا: أن نسأل اللَّه له الوسيلة والفضيلة.

من حقه علينا: أن نَذُبَّ عنه وندافعَ عن سنته، فحَقُّه علينا أعظمُ من حقِّ والدينا، ومن تمامِ الإيمانِ أن نقدم محبتنا له على محبتنا لأنفسنا.

ومن حقه علينا: أن نقدم قولَه على قول غيره من البشر؛ فلا يُقدَّم قولُ، ولا فعلُ، ولا رأيُ صاحب مذهب، ولا شيخ، ولا عالم، ولا رئيس، ولا ملك، ولا وزير على قول رسول اللَّه ﷺ.

ثم إن من حقه علينا: أن نخلفه في أهل بيته بخير، إذ

قد أوصى فقال: «أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي»(١٤٥).

وحقُّه علينا لا يأتي عليه الحصر، فنسأل اللَّه أن يتجاوز عن تقصيرنا في توقيرِ هذا النبيِّ الكريم، وعن تقصيرنا في نُصْرَةِ سُنَّتِهِ، وعن تقصيرِنا في الصلاةِ عليه، وعن تقصيرِنا في عمومِ حقوقِه صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلى آل بيته وعلى صحبه ومن سلك طريقه واتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.



(١٤٥) مسلم حديث (٢٤٠٨)

واخيرًا:

فهذا نبيُّكم ﷺقد اطلعتُم على بعضِ أَمْرِه، وعلى بعضِ فَضْلِه، وعلى شيءٍ من منزلته وعُلُوِّ قَدْرِه، وهذا غَيْضٌ من فَيْضٍ!! وتلك نقطة من بحر!!.

فما وَفَّيْنَاه حَقَّه، ولا مِعْشَار حَقِّه صلوات ربي وسلامه عليه فهلمُّوا إلى نُصْرتِه، وهَلُمُّوا إلى اتباعِ سنته، وإلا تنصروه فقد نصره اللَّهُ.

إنه لشرفٌ لنا غايةَ الشَّرَفِ، وفخرٌ لنا غاية الفخر أن نكون أتباعًا لهذا النبيِّ الكريمِ، وحملةً لسنتِهِ المباركةِ الميمونةِ.

وإنْ تَوَلَّيْنَا فاللَّهُ غنيٌّ عَنَّا، فهو -سبحانه- حافظُه وناصره.

تُرَونَ مَنْ حفظ هذا النبي الكريم وقد وُلد يتيمًا !!

ترون مَنْ حفظه وقد ضلَّ في شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مكة فَرَدهُ اللَّه سالمًا آمنًا !!. إنه اللَّه ﷻ

تُرون من حفظه ونصره لَمَّا اجتمعَ الملأُ من قريش عليه، ووقفوا على بابه ليلة هِجْرَتِه لقتله واغتياله!! إنَّ الذي سَلَّمَه وحَفِظَه هُوَ اللَّهُ عز وجل .

مَنِ الذي سَلَّمهُ إذ هو في الغارِ إذ يقول لصاحبه: «**لا تحزنْ إنَّ اللَّهَ معنا**» .

لقد قال له صاحبه أبو بكر: يا رسول اللَّه، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْه لَأَبْصَرنَا .

فما الجواب؟

الجواب منه صلوات اللَّه وسلامه عليه:

«**ما ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟؟**» .

ترون من الذي حَفِظَه وَسَلَّمَهُ مِنْ سُرَاقَةَ بنِ مالك بن جُعْشُمٍ لما اقتربَ برُمْحِه وسَيْفِه منه في أثناءِ الهجرةِ، كي يَحْظَى بالمكافأة التي أعدها المشركون لمن قتل هذا النبي الكريم!! .

من الذي جعل رجل الفرس تسيخ في الأرض؟!! إنه

اللَّه ﷻ.

ترون من الذي سلَّم هذا النبيَّ الكريمَ من مَكْرِ اليهودِ وخيانتِهم بالمدينةِ؟ إنه اللَّه ﷻ.

ومن الذي حَفِظَه من أهل النفاقِ وكيدِهم؟ إنه اللَّه ﷻ.

ترون من الذي سلَّمه يوم أُحد؟ إنه اللَّه ﷻ.

ومن الذي نصره يوم بدرٍ؟ إنه اللَّه ﷻ.

ترون من الذي نصرَه يوم الخندقِ وقد تألبتْ عليه الأحزابُ، واجتمعت عليه القبائِلُ من كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ؟

من الذي أرسلَ عليهم الريح التي شَتَّتَتْ شَمْلَهُمْ وَفَرَّقَتْ جَمْعَهم؟

لقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩]

ومن الذي نصره يوم حُنينٍ، بعد أن وَلَّى مِنْ حَوْلِه مَنْ وَلَّى، وهَرَب مِنْ حَوْلِهِ مَنْ هَرَبَ؟

لقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦]

فحقٌّ ما قاله ربنا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾

[التوبة: ٤٠]

وحق ما قاله ربنا إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾

[المائدة: ٦٧]

فهلموا أيها المسلمون إلى شَرَفِكم وعِزِّكم ومَجْدِكم في اتِّباع هذا النبي الكريم، والتجند لنصرة دينه وسنته.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾

[محمد: ٣٨]

لقد نال الصحابة رضي الله عنهم ما نالوه من كريم الفضل وعظيم المنزلة بما بذلوه لنصرة هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه:

فلقد بَذَلَ الصَّحَابَةُ أشدَّ البَذْلِ، وضَحَّوا أعظَمَ التضحيات لنُصْرَةِ هذا النبيِّ الكريم، فلنكن مثلَهم، وليكن صنيعُهم منا على بالٍ.

لقد أخرج أبو داودَ[١٤٦] في «سننه» بسندٍ حسنٍ عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا».

(١٤٦) أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وغيرهما.

لقد جَهَّزَ عُثْمَانُ رضي الله عنه جيش العُسْرة بكامِلِه[١٤٧] .

ولقد نام عليٌّ[١٤٨] رضي الله عنه **في فراشِ النبيِّ** ﷺ لما أرادَ المشركون قتله، وذلك في الليلةِ التي خرج في صبيحتها مهاجرًا، وفي هذا تعرضٌ للقتل، ولكن اللَّه سلَّم.

ولقد دافع طلحة[١٤٩] **بن عبيد اللَّه** رضي الله عنه عن النبي ﷺ أشد الدفاع يوم أحد حتى شُلَّت يده.

وهذه تضحية أنس بن النضر، وذاك فداؤه.

أخرج البخاري[١٥٠] من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: «غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ - وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ- قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا

---

(١٤٧) البخاري معلقًا (٢٧٧٨)، وله شواهد يصح بها.

(١٤٨) أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠- ٣٣١) بإسنادٍ حسنٍ.

(١٤٩) البخاري (٣٧٢٤).

(١٥٠) البخاري (٢٨٠٥).

صَنَعَ هَؤُلَاءِ- يَعْنِي: أَصْحَابَهُ-، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ- يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ-، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ: ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى -أَوْ نَظُنُّ- أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الأحزاب: ٢٣]».

وهذا عُمير بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه لما سمع قول النبي ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**».
قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**». قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ**

مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»(١٥١).

وهذا حنظلةُ بنُ أبي عامر يَسْمَعُ صوتَ منادي الجهاد يُنادي، فخرج وهو جُنُب، فقُتِلَ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، فسألوا صاحبته عنه فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة(*) وهو جُنُب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ»(١٥٢).

وهذا مشهد شهده ابن مسعود من المقداد رضي الله عنه: يقول ابن مسعود: «لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ رَجُلًا فَارِسًا قَالَ: فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ،

(*) الهائعة: الصياح والضجّة [النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٨)].
(١٥١) مسلم (١٩٠١).
(١٥٢) الحاكم (٣/ ٢٠٤) بسندٍ حسنٍ.

وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»(١٥٣).

وهذا مُعاذٌ ومعوذ ابنا عفراء رضي الله عنهما يخبرنا بأمرهما الصحابيُّ الجليلُ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ رضي الله عنه فيقول: إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ الْتَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ، فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ: يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ، فَقُلْتُ: يَا بْنَ أَخِي وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ، فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ، قَالَ: فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ(١٥٤).

---

(١٥٣) أحمد (١/ ٤٥٧) بسندٍ صحيح.

(١٥٤) البخاري (٣٩٨٨) ومسلم (١٧٥٢).

وبين يدي الختام:

حمدًا لخالقنا سبحانه وتعالى ومولانا وربنا وملكنا وإلهنا على هدايته لنا للإسلام والإيمان، فالحمد للَّه رب العالمين حمدًا وشكرًا للَّه على عظيم نعمه وآلائه التي لا تنفد ولا تُحصى ولا تُعد، الحمد للَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ.

الحمد للَّه.. الحمد للَّه.. الحمد للَّه.

الحمد للَّه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم صلِّ يا ربنا وسلِّم تسليمًا كثيرًا على من أرسلته رحمةً للعالمين، صلِّ يا ربنا وسلم على نبينا محمد الذي مننت به علينا، وتفضلت وأخرجتنا به من الظلمات إلى النور، وبصرتنا به من العمى، وأنقذتنا به من الضلالة، واجْزِه عنا خير الجزاء، وأوفر الجزاء، وآته سُؤْلَه يا ربنا.

وختامًا

نسأل اللَّه أن لا يجعله آخر العهد بهذا النبي الكريم، وبذكره والتذكير بفضله وشرفه ومناقبه.

ختامًا: أسأل اللَّه أن يحشرنا مع هذا النبي الكريم، ومع المُنْعَمِ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت

على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللَّهم أَحْيِنَا على الإسلام وتَوَفَّنَا مسلمين. اللَّهم مسّكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك.

اللَّهم ثبتنا على الإيمان وجنبنا الشرك والجحود والكفران.

اللَّهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا اللَّه.

اللَّهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللَّهم انصر المسلمين، وأيدهم بتأييدك، واخذل أهل الشرك يا رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد للَّه رب العالمين.

كتبه

أبو عبد اللّه مصطفى بن العدوي

كلمات بعض أهل العلم والدعاة إلى الله في الثناء على رسول الله ﷺ والذب عنه[1]

(١) الكلمات التي وردت إليَّ من المملكة العربية السعودية تفضل بإرسالها وتلخيصها أخي الصحفي إبراهيم رفعت حفظه الله.

من كلمات الشيخ
صالح بن حميد حفظه الله

الحمد للَّه أهل الحمد والثناء، أحمده سبحانه وأشكره في السراء والضراء، وأشهد أن لا اله إلا اللَّه وحده لا شريك له، إله الأرض والسماء وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدُ اللَّه ورسوله، سيد المرسلين وخاتم الأنبياء صلى اللَّه عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين

لعل فرحتنا وبشائر آمالنا في أمتنا تدعونا لأن نقف وقفة تأمل أمام هذا الواقع، حادثة إفك الرسومات، لا تعتبروه شرًّا لكم؛ بل هو خير لكم.

في هذه الوقفات والتأملات، هذه المنزلة العظيمة للحبيب المصطفى، الرسول المجتبى، فمنزلته لن يُنال منها، فهو في المقام الشامخ السامق لدى أتباعه إلى يوم

الدين- بأبي هو وأمي ﷺ- وكأنه بين أظهرنا ﷺ، ولعلنا - إن شاء اللّه- نبلغ منزلة أحبابه الذين أخبر عنهم ولم يرهم، ومن هذه التأملات: اجتماع الأمة واتحادها ومواقفها وشعورها بأنهم أتباع النبي ﷺ وأتباع هذا الدين، وهم أهل هدف واحد، ومن ذلك: أن فاعلية هذه الأمة في شعوبها ودولها، ومن ذلك: اشتباه الأعداء الناطقين منهم والصامتين، واشتباه المعايير، فمن هو يا ترى المتهم بكُرْه الآخر وظلم الآخر، ومن باب اشتباه المعايير ما قيل في حرية الكلمة وحرية التعبير، ومن المعلوم أن الاستهزاء بالناس والسخرية بهم ليس من الحرية في شيء، بل لا يمارسها متزن فضلًا عن أن يقبلها العقل، ومن المعلوم أنه حين أزيلت تلك التماثيل في بعض البلدان قامت قائمتهم. ولم تقعد حيث جاءوا بخيلهم ورجلهم واستكتبوا أهل الشرق والغرب، وليس المقام مقام تغطية ذلك، ولكنه شاهد لاختلاف المعايير واضطرابها وغلبة الأهواء.

قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: الآية ٣٧] .

بقلم/ إبراهيم عطا إبراهيم الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد للَّه الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمتنا وللَّه الحمد خير أمة، وبعث فينا رسولًا منا يتلو علينا آياته، ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، أحمده- سبحانه- على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه. أما بعد:

فقد بعث اللَّه رسوله محمدًا ﷺ؛ لينقذ البشرية من ظلمات الجهل والشرك إلى نور التوحيد والعلم، فهداهم بعد ضلالة وجمعهم بعد شتات، ووحَّدهم بعد تفرُّق، وأسعدهم بعد شقاء، وكان- دائمًا أبدًا- المثل الأعلى، والقدوة الصالحة، فعاش حياته كلها منزهًا عن النقائص، مبرأً من العيوب، مثال الكمال والإجلال، مثار الإعجاب والتقدير؛ حيث عرف منذ نشأته الأولى بين قومه بـ«الصادق الأمين»، وعلى هذا الأساس كانت

رسالته، وقامت دولته.

صلى عليك اللَّه يا صاحب القلب الرحيم، والخلق العظيم، يا من أرسلك اللَّه رحمة للعالمين، حبيبي يا رسول اللَّه، لقد مرَّ على العالم عظماء، وطوى التاريخ بين صفحاته مشاهير؛ مضوا جميعًا، ومضت آثارهم، ودرست وعفت بالنسيان أخبارهم، وتلاشت في صحف الأيام أمجادهم، أما عظمتك يا سيدي يا رسول اللَّه فليست من جنس العظمات البشرية المألوفة التي يخشى عليها النسيان، أو التلاشي في صحف الأيام، إنها عظمة رحمة وعطف، عظمة هداية وإرشاد، عظمة تثقيف وتهذيب، عظمة إصلاح، وتعمير، إنها عظمة تساير الدهر، وتستقر في صفحة الخلود، ويستمد العالم منها غذاء حياته الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، إنها عظمة الرسالة الخاتمة، التي أرست قواعد العدالة، ونشرت الأمن والسلام، وردَّت إلى الدنيا صوابها، وعدلت ميزانها، وألقت في وجدانها الحكمة

والرشد، وبذلك تحقق في الأمة فضلك، وعمَّ الأنام نفعك، وسرت في القلوب والأرواح أنوار هدايتك وكيف لا؟! وذكرك- يا حبيب اللَّه- وذكر ما جئت به من الهداية والرشد، والخير والفضل سيبقى على مر الأيام أثره، يضيء الآفاق، ويبدد الظلمات، وينير الطريق، ويهدي للتي هي أقوم وكيف لا؟! والكتاب الوحيد الذي تكفل اللَّه بحفظه هو الكتاب الذي أنزل عليك، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: الآية ٩]، في حين أنه أوكل حفظ غيره من الكتب للأحبار والرهبان، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: الآية ٤٤] ولا ينكر ذلك إلا ضال مضل، ولا يشك فيه إلا جاحد حاسد معاند، أعماه حسده وطمس على بصيرته حقده، فراح يزيف الحقائق، وينسب الأباطيل، ويسيء بالرسوم الكاريكاتيرية- كما فعلت الصحيفة الدنماركية- إلى نبي الإسلام، ورسول الملك العلام، دون ذرة من خجل، أو

قليل من حياء، فهؤلاء وأمثالهم الذين يؤذون رسول اللَّه ﷺ توعَّدهم بالعذاب المهين، والحسرة والندامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وإنه لمن العجب العجاب أنهم يعدون ذلك لونًا من ألوان حرية التعبير، ولو كشف الغطاء عن قلوبهم المحجوبة لعلموا أنهم يسيئون إلى خير البشر، وأفضل الخلق، وأكرم الرسل لقد فعل هؤلاء مثل ما فعل الأولون، لقد أخبر القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

لكن اللَّه من ورائهم محيط، يحبط كيدهم، ويرد أسلحتهم إلى نحورهم فتاكة قتالة، أرادوا بذلك صرف الناس عن الإسلام، فصرفوا الناس إليه، فلقد أيقظت تلك الرسوم التي تسيء إلى رسول اللَّه ﷺ المسلمين، وجمعت شتاتهم، ووحدت كلمتهم، فهبوا للدفاع عن

رسول الإسلام بكل ما أوتوا من قوة في مظاهرات صاخبة في كل دول الدنيا، وقاطعوا الدولة التي فعلت ذلك اقتصاديًّا، حتى دفعهم ذلك إلى الاعتذار، وإن كان الاعتذار لا يكفي، غير أنه وضع حدًّا لهذا التسفل والانحطاط، وصدق رب العالمين إذ يقول: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧]

وإن واجبنا- كمسلمين- أن نقتدي بسلفنا الصالح: أن ندافع عن نبي الإسلام ﷺ، وأن نجعل أرواحنا فداءً له، ولا يكتمل إيماننا إلا بذلك.

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وسلم.

سقط القناع

سَقَطَ القِنَاعُ وعَمَّ ليلٌ مظلم
من أُفْقِ (أوربا) علينا يَهْجُمُ
ويُحيل صُبحَ العالمين سَحائبًا
سُودًا، وكان من النضارة يَبْسَمُ
ومضى «كهولاكو» يُدَمِّرُ حَاقدًا
كلَّ الجُسُور، ويَسْتَفِزُّ، ويَنْقمُ
ويَدُوسُ أقداسَ الطَّهَارَةِ هاهنا
وهناك، والفُسَّاقُ طيرٌ حُوَّمُ
لَمْ يَكْفِهِم ما لَوَّثُوا الدُّنْيا به
مُتَبَجِّحِين وكأنَّهم لم يَأثموا
فَأَتَوْا إلى الإسلام آخرَ دَفْقَةٍ
للنور جاء بها كتابٌ محكمُ
ودعا بها أسْمَى نَبِيٍّ أشرقت
بخُطَاهُ شمسٌ بالهداية تَحلمُ

وغَدَوْا عليه حاقدين ليُطفِئُوا
نورَ الَّذي أنوارُه لا تُهْزَمُ
لكنه حقد الصليبيين مَدَّ جسورَه
فدنا دَالِيهم في الخَفاء الأرْقَمُ
لينال من قُرآننا ونبيِّنا
هذا الحقودُ الأحمقُ المتورِّمُ
آنًا بتحريفِ الكتاب، ومَرَّةً
بتطاولٍ فجٍّ به يَتَهَكَّمُ
أو سَبِّه شرفَ النبيِّ، وصَحْبِه
ونسائِه، وبكلِّ دَعْوَى تُؤْلِمُ
يتناقلُ الكُتَّابُ نَشْرَ هُرَائِهَا
وتُعِيدُ صُحْفُهُمُ الغَبِيَّة عنهمُ
مثلَ الكلابِ النابِحات، وكلما
بَصُرَتْ بظِلٍّ في الدَّيَاجِي يُقدمُ
نَهَمَتْ لُحُومَ الضَّيْفِ لم تَأْبَهْ بِه
إن كان ضيفًا أو غريبًا يُكرَمُ

قَلَبُوا مَوَازِينَ الحياة وبَدَّلُوا
حتى رأى الأعمى وفاهَ الأبكمُ
إنِّي لَأَعْجَبُ من عَدَاوَتِهِم لنا
ماذا أتاه المسلمون ليُظْلَمُوا
ويُنال من حُرُمَاتِهِم، ويُمَزَّقُوا
ويُشتتوا، ويُطاردوا، ويُيَتَّمُوا
ونظلُ طولَ حياتنا في خَنْدَقٍ
ليَرُدَّ عنا من يَصُولُ ويَحْجُمُ
مُتَوَرِّمُ الشِّدْقَيْنِ مَمْطُوطُ اللَّهَا
وعليه من آثارِ ذبحتنا دَمُ
ما إن يَمُدُّ لسانَهُ بزُعَافِهِ
حتى يقيء دَمًا وغَيْظًا يُكْظَمُ
رَكِبَ التعَصُّبُ رأسَهُم فتطاولوا
وأغرَّهم منا الصَّدَى المُسْتَسْلِمُ
فَتَهَكَّمُوا، وتَهَجَّمُوا، وتَحَكَّمُوا
وعدا مع الأغنام هذا الضَّيْغَمُ

فإذا استبدَّ فطعمُه ساغَتْ له
وإذا استلذَّ فنعمَ هذا المَطْعَمُ
يا مسلمون وذي نصيحة مخلص
منكم يؤَرِّقُهُ الصُّراخُ الأعجمُ
ليسَ الدفاعُ عن النبيِّ محمد
خطبًا تُدَبَّجُ أو كلامًا يُرْقَمُ
أو في تظاهرةٍ تزلزل شارعًا
وتروح للبنيان ظُلْمًا تَهْدِمُ
أو فيضِ عاطفةٍ تفورُ حماسةً
ثم انطفاءٍ مَيِّتٍ وتَشَرْذُمُ
لكنَّه فِكْرٌ، ونَهْجٌ راشدٌ
ولُزُومُ سُنَّتِهِ التي هي أقومُ
وركوبُ مَتْنِ العلم أنَّى يَمَّمَتْ
آفاقُه، فالجهلُ عارٌ مؤلمُ
والآن نبكي، لا الديارَ ديارنُا
وزماننا هذا الدجى المتجهمُ

فإذا أردنا صَحْوَةً وكَرَامةً
تحمي الحِمَى، وتردُّ من لا يَرْحمُ
فالعلمُ، ثم الوعيُ للفتن التي
من حولنا أبدًا تُحاكُ وتُبرمُ
ولبدعة الخطر - الصِّرَاع - المدَّعَى
بين الحضارات التي تتأزمُ
فوراءَ هذا الغَيْمِ رَعْدٌ بارِقٌ
وصدى زخوفٍ في العرين تَهَوَّمُ
روحي فداؤك يا رسول اللَّه ما
قد لاح نورٌ أو شدا مُتَرَنِّمُ
ومعي ألوف من ملايينَ اكتوت
بالحُزْنِ مما قد رَمَاكَ الْمُجْرِمُ
واسمع من الفردوس رجع هتافها
ملء الفضاء وبالوعيد مُدَمْدِمُ

للشيخ محمد النفقي حفظه اللَّه.

* * *

من كلمات فضيلة الشيخ عبد العزيز الوهيبي

ما حدث منذ مدة حول الكلام على شخص رسول الله ﷺ فإن هذا منكر وليس في الحقيقة بمستغرب، فهو أمر دأب عليه الكفار والمشركون منذ القدم، والله -جل وعلا- أخبر في كتابه الكريم عن ذلك، فقال تعالى مبينًا هذا الأمر ومجليًا له فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦﴾[آل عمران: الآية ١٨٦] .

وكان النبي ﷺ يعيش ذلك معايشة تامة، فقد كانوا يسمونه مُذَمَّمًا، فقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يدافع عني لأنهم يسبون مذممًا، وأنا محمد ﷺ»، وكان اليهود يقولون له: «السَّام عليكم...» كما في «الصحيح»، وكانت عائشة تسبهم وتلومهم، فكان يقول ﷺ: «يا عائِشَةُ إنِّي قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُم».

واللَّه -جل وعلا- رَدَّ عن نبيه ﷺ ومن نال من عرضه الشريف، فإنه يكون في عقوبة الدنيا قبل الآخرة، كما قال اللَّه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧].

واللَّه -جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: الآية ٣٨].

فما نال أحدٌ من النبي ﷺ إلا كانت له مَذَمَّة في الدنيا قبل الآخرة، ولذلك لما أرسل النبي ﷺ الرسائل إلى الملوك في دعوتهم إلى هرقل، قبل ما جاء به النبي ﷺ، ودعا قومه في القصة التي ذكرها البخاري في «صحيحه»، لكنه غَلَّب حب الملك على حب الآخرة، أما كسرى فإنه مزَّق كتاب النبي ﷺ، فدعا عليه المصطفى ﷺ أن يُمَزَّق ملكه، فقال لما أخبر عن ذلك: «مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ» فمُزِّق شَرَّ مُمزَّق.

كذلك لما قال أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا؟ نزلت فيه الآيات التي تُتلى إلى يوم القيامة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: الآية ١].

هذا وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وسلم.

نصرة النبي ﷺ
من كلمات الشيخ المنجد

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وبعد . . .

لا يَسَعُنا أيها الأخوة إلا أن نذكِّر أنفسنا بحق نبينا علينا، وأن نتذكر باستمرار كيف كانت حاله ﷺ مع أصحابه، كيف كان أصحابه ينصرونه، كيف كان الصحابة يعظمون النبي ﷺ ، وكيف كان حقه عظيمًا ومنزلته عالية عندهم ﷺ ، فهلموا إلى شيء من النصوص والقصص التي وردت في الأحاديث الصحيحة عن معاملة الصحابة للنبي ﷺ لنعرف كيف ينبغي أن يعامل.

عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول اللَّه ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصَب والجوع وهم يحفرون في يوم بارد دفاعًا عن رسول اللَّه ﷺ ودينه، فلما رأى ما بهم من النصب

والجوع، قال:

«اللَّهمَّ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة
فاغفر للأنصار، والمهاجرة»

فقالوا مجيبين له:

نحنُ الذين بايعوا محمدًا
على الجهاد ما بَقِينا أبدًا

رواه البخاري.

وعن أنس أن رسول اللَّه ﷺ أُفرِدَ يوم أُحُدٍ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش من المهاجرين، فلما أحاط به المشركون قال: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ» أو «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رفيقه أيضًا، فقال: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ» أو «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قُتِل السبعة كلهم، هذا معنى قولهم: «نفديك بأنفسنا فداء لك نفسي وأمي وأبي»، طَبَّقُوها عمليًّا، فَدَوْه بأنفسهم فقُتل سبعة أمام

عينيه ﷺ فقال ﷺ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**» رواه مسلم.

كيف كانت لَهْجتهم في خطابه؟ كيف كانت لهجتهم في سؤاله؟

روى مسلم في «صحيحه» في قصة وفد عبد قيس لما أتوا النبي ﷺ قالوا: يا نبيَّ اللَّه جعلنا اللَّه فداك...

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا في غَزْوَة بَدْرٍ كُل ثلاثة مِنَّا على بعير، كان عليٌّ وأبو لبابة زَمِيلَيْ رسولِ اللَّه ﷺ، فإذا كان عَقْبَةُ النبي ﷺ قال: ارْكَبْ يا رسول اللَّه حَتَّى نَمْشِي عَنْكَ فيقول: ﷺ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا**».

كيف كانوا يفعلون في المعارك؟ في دفاعهم عنه.

عن أنس قال: كان أبو طلحة يرمي بين يدي رسول اللَّه ﷺ، وكان رسول اللَّه ﷺ يرفع رأسه خلفه لينظر إلى مواقع نَبْلِه أينَ وَقَعَتْ وأبو طلحة الرامي، قال: فتطاول أبو طلحة بصدره يَقِي به رسول اللَّه ﷺ وقال: يا رسول اللَّه «نَحْرِي دون نَحْرِك...» الحديث رواه أحمد.

كيف كانوا يتبركون بآثاره ﷺ والتبرك بها مشروع لمَّا كانت موجودة، والآن لا يُعلم له أثر ﷺ باق لا من شعره ولا من شيء آخر، ولذلك لا يجوز التبرك بأي شيء الآن، على عهده كان التبرك به من علامات الإيمان.

عن أنس قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ والحَلَّاق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل منهم.

* * *

كلمة فضيلة الشيخ
محمد حسان حفظه الله

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ.

وبعد. . .

فلقد كانت البشرية شاردة بعيدًا عن منهج اللَّه- جل وعلا-، تتخبط في عقيدتها وأخلاقها وأوضاعها، أحرقها لفحُ الهاجرة القاتل، وأرهقها وأضناها طول المشي في التيه. والضلال والظلام.

فشاء اللَّه -جل وعلا- لهذه البشرية أن تحيا بعد موات، وتهتدي بعد ضلال، وتروى بعد ظمأ، فبعث إليها محمدًا ﷺ، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء: الآية ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وفيه

أنه ﷺ قال: «... إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

وما أجمع قول عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خلقه ﷺ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ».

وأجمل من هذا قول ربي- جل وعلا-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: الآية ٤].

وما أصدق ابن عباس رضي الله عنهما حين قال: «والله ما خلق وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما أقسم الله بحياة أحد غيره».

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

وخصَّه- جل وعلا- بالشفاعة العظمى والوسيلة والكوثر، وصلى عليه وأمر المؤمنين بذلك ليجتمع له الثناء في الملأ الأعلى وفي الأرض، فقال- جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

وأنزل اللَّه قرآنًا يعلم الصحابة كيف ينادونه ويحدثونه بين يديه، ويعرفهم قدره ﷺ عند ربه عز وجل.

وبالجملة فلا يَعْرِفُ قَدْرَ النبي ﷺ إلا الرَّبُّ العليُّ -جل وعلا-.

وحياة النبي ﷺ وسيرته الشريفة ما كانت ماضيًا وانتهى!! أبدًا أبدًا.

بل يجب أن تبقى سنته وسيرته وحياته شُعلةً تُوقد شموس الحياة، ودماءً زكية طاهرةً تتدفق في عروق المستقبل والأجيال؛ لنحولها في حياتنا إلى واقع عملي ومنهج حياة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١] . . . الآيات.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾

الشيخ/ناصر بن سليمان العمر حفظه الله

الحمد للّه وكفى، ثم الصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، ورسله الذين اجتبى، وبعد . . .

فإن من سنة اللّه فيمن يؤذي رسوله ﷺ، أنه إن لم يُجازَ في الدنيا بيد المسلمين، فإن اللّه سبحانه ينتقم منه ويكفيه إياه، والحوادث التي تشير إلى هذا في السيرة النبوية وبعد عهد النبوة كثيرة، وقد قال اللّه تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥].

والقصة في سبب نزول الآية، وإهلاك اللّه لهؤلاء المستهزئين واحدًا بعد واحدٍ، معروفة قد ذكرها أهل السير والتفسير، وهم -على ما قيل- نفرٌ من رءوس قريش: منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسودان ابن

المطلب وابن عبد يغوث، والحارث بن قيس.

وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يُسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله ﷺ فثبت ملكه.

قال ابن تيمية في «الصارم»: «فيقال: إن الملك باق في ذريته إلى اليوم» ولا يزال الملك يتوارث في بعض بلادهم.

وأما كسرى فمزق كتاب رسول اللَّه ﷺ، واستهزأ برسول اللَّه ﷺ، فقتله اللَّه بعد قليل ومزَّق ملكه كل ممزق، فلم يبق للأكاسرة ملك، وهذا واللَّه أعلم تحقيق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: الآية ٣]، فكل من شناه وأبغضه وعاداه، فإن اللَّه يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وقد قيل: إنها نزلت في العاص بن وائل، أو في عقبة بن أبي معيط، أو في كعب بن الأشرف، وجميعهم أُخذوا أخذ عزيز مقتدر.

لقد وعد اللَّه رسوله بالنصر، فقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٢].

كلمة الشيخ محمد بن عبد السلام

حفظه الله

بسم اللَّه والحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه:

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما خلق اللَّه وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت اللَّه أقسم بحياة أحد غيره. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٧٢].

فاللَّه اجتباه واصطفاه من بين خلقه أجمعين، فاللَّه خلق الخلق واصطفى من بينهم الأنبياء والرسل، واصطفى من بينهم أولي العزم الخمسة، واصطفى من أولي العزم الخمسة محمدًا ﷺ.

أمينٌ مصطفى للخير يدعو
كضوء البَدْر زَايَلَهُ الظلامُ

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ﴾



لقد كانت البشرية شاردة بعيدا عن منهج الله جل وعلا تتخبط في عقيدتها وأخلاقها وأوضاعها فشاء الله جل وعلا لهذه البشرية أن تحيا بعد موات وتهتدي بعد ضلال وتروى بعد ظمأ فبعث إليها محمد ﷺ هاديا ومبشرا ونذيرا .

فقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (107)سورة الأنبياء

وحين سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ قالت " كان خلقه القرآن " فشرح الله له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وأعلى له قدره وزكاه جل وعلا في كل شئ .

في عقله فقال (ما ضل صاحبكم وما غوى) سورة النجم (2)

في بصره فقال (مازاغ البصر وما طغى)سورة النجم (17)

في فؤاده فقال (ما كذب الفؤاد ما رأي)سورة النجم(11)

في صدقه فقال سبحانه (وماينطق عن الهوى) سورة النجم(3)

في حلمه فقال(بالمؤمنين رؤوف رحيم)سورة التوبة(128)

وزكاه كله فقال سبحانه (وإنك لعلى خلق عظيم)سورة القلم(4)

فنسألك اللهم أن تغفر لنا تقصيرنا وأن تثبتنا على دينك ونصرة حبيبك ﷺ والتمسك بسنته والسير على هديه وطريقته وأن تجمعنا به في جنة الخلد،آمين والحمد لله رب العالمين.



